د. عائض القرني

ابتسم

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عائض عبدالله

ابتسم./ عائض عبدالله القرني ـ ط٥ . ـ الرياض، ١٤٢٦هـ

٢٧٠ ص، ١٦,٥×٢٤سم

ردمك ٥ ـ ٦٨٦ ـ ٤٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الفكاهات العربية أ. العنوان

ديوي ٨١٧,٠٠٨ ٥٣ / ١٤٢٦

ردمك: ٥ ـ ٦٨٦ ـ ٤٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٥٣ / ١٤٢٦

الطبعة الخامسة

١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعـــد:

أخي القارئ الكريم (ابتسم) عنوان هذا الكتاب، وكلمة ابتسم كلمة جميلة أخاذة جذابة معجبة مطربة.. وكيف لا يبتسم المسلم وقد رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدﷺ نبيا؟! كيف لا يبتسم؛ وقد أنبت له حدائق ذات بهجة، ورياضاً خضراء؛ فيها من كل زوج بهيج، وخمائل مائسة بالحسن، وجعل له سفوحاً هائمة بالجمال؟! كيف لا يبتسم؛ وقد أوجد الله له نجوماً زاهرة، وبحاراً زاخرة، وأرضاً ذات فجاج، وكواكب في أبراج؟!.

كيف لا يبتسم؛ والطير يشدو، والحمام يغرد، والشمس تشرق، والقمر يبهر، والصباح أقبل في حلة من النور، والغيث هلَّ في معطف من السحب؟!.

رق النسيم، وشذا الورق، وغنا العندليب، وفاح الأقحوان، وتمايل الريحان، وتمتم الماء بين الروابي يتلو آيات الحب، ويقص سور الجمال.

ولعلك اسعدتنا بقراءة كتاب «**لا تحزن**» وبعده نقول لك «**ابتسم**».

وفي هذا الكتاب نوادر بريئة، ونكات مضحكة، ومزاح لطيف طريف جانبت فيه التعرض لجناب الدين، وسياج الملة، وحرمة الشريعة، وابتعدت فيه عن الإسفاف والسقوط؛ أقدمه بين يديك لتبتسم في عين العاصفة وفي طريق الحياة الصعب الشاق، وفي معاناة غصص المسيرة، وكدر العيش، وكبد الأيام، فأسعدك الله، واضحك سنك، وأزال همك وغمك وأذهب حزنك.

عائض القرني

لماذا هذا الكتاب؟

ما أكثر ما تعرو المرء تيارات الأسى، وتعلوه سحب الهم وتنتابه أدوار الكآبة فلا تسأل عن أثر البسمة إذ ذاك، وروعة الضحكة، وحلاوة الدعابة.

يقول أحمد أمين: «لو أنصف الناس لاستغنوا عن ثلاثة أرباع ما في الصيدليات بالضحك، فضحكة واحدة خير ألف مرة من برشامة اسبيرين، وحبة كينين» أ.هـ.

ولا ضير على بعض الكتاب إذ جعل الابتسامة دليل على حضارات الشعوب، ومرآة رقيه، وأمارة ظاهرة تعكس المستوى اللائق لتفكيره، وسجل أخلاقه الكريمة.

أنا وأنت ننتقل في بساتين هذا الكتاب نستنشق نسائم الضحك، ونحلق في سمائه تحملنا رياح الابتسامة.

هي لحظات باسمة تستحق منا التوقف، نعيش فيها مع الفكهين المازحين الضاحكين المضحكين، طيبي النفس، أصفياء الذهن مع نوادرهم الشائعة، وطرائفهم الماتعة فضلاً عما تحمله من قيم أدبية، ومعانٍ تربوية.

ولو لم يكن في الابتسامة والضحك إلا الشعور بأن الآلام والأحزان قد انمحت وعفت ولو لمدة قصيرة وفترة وجيزة لكفى.

هذي سعادة دنيانا فكن رجلاً

إن شئتها أبد الآباد يبتسمُ

خذ الحياة كما جاءتك مبتسماً

في كفها الخير أو في كفها العدمُ

وقبل الشروع في عرض ما قصدته من تلك المقطوعات الرائقة، والنوادر الباسمة أود أن أوضح عدداً من المسائل فأقول:

أولاً: إن كبار المصنفين العرب قد جمعوا أخبار العرب الضاحكة، ونوادرهم الماتعة، وأجوبتهم المسكتة، ونظموها في عقد فريد ضم جواهر ثمينة من هذا النوع وهو الأصل المعتمد في نقلها في هذا الكتاب ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر كتاب «البيان والتبيين» و«البخلاء» كلاهما للجاحظ، و«زهرة الآداب» وذيله للحصري، و«الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي و«أخبار الحمقى والمغفلين» و«أخبار الأذكياء» و«أخبار الظراف والمتماجنين» جميعها لابن الجوزي، و«الأغاني» لأبي فرج الأصفهاني، و«العقد الفريد» لابن عبدربه، وهذه الكتب وغيرها كثير قد حفلت بألوان عديدة من تلك الأخبار، وجميع من كتب في أدب الفكاهة هم عيال عليهم وأنا واحد منهم.

ثانياً: عندما كنت في صدد ما قصدته في الفقرة السابقة أخذت أطلع على كتب للمتأخرين في نفس الباب فوجدت أن أكثرهم قد نقلوا

عن تلك الأصول، وصاغوا تلك النوادر في أسلوب سهل ميسر، وقالب لطيف قريب من فهم أكثر الناس على اختلاف أجناسهم ومستوياتهم فآثرت نقلها كما صاغوها إذ به يتحقق الغرض، ويحصل المقصود فلا ينقم عليَّ ناقم منهم أو من غيرهم فالكل ينهل من معين واحد إلا إذا دعت الحاجة إلى التغيير لمانع من نكارة في لفظ أو هبوط في عبارة وأذكر من هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر: «أدبنا الضاحك» لعبدالغني العطري، و«الخزانة في أدب الفكاهة» لمحمد الشريف، و«الأجوبة المسكتة» لإبراهيم الحازمي، و«الفكاهة في الأدب» للدكتور أحمد الحوفي، و«قصائد ضاحكة» للدكتور ناصر الزهراني، و«نوادر الكتب غريبها وطريفها» لمحمد خير يوسف، وغيرها كثير. والفضل كله بعد الله تعالى للمتقدم.

ثالثاً: كنت قد رأيت بادئ ذي بدء عند انقداح فكرة الكتاب أن أعزو إلى المصادر، وأحيل إلى المراجع، وأشير إلى الأصول؛ إلا إنني وجدت أن ذلك سيثقل من ظل الكتاب على نفس قارئ العصر، وقد يكون سبباً في قطع حبل الفكر وهي طريقة اعتدتها فيما كتبته من مؤلفات، ولاقت قبولاً واستحساناً وقد تدعو الحاجة إلى الايضاح أو الشرح فأذكره ضمن المتن.

رابعاً: جمعت في هذا الكتاب ما وقعت عليه من نوادر وفكاهات فأثبت منها ما انتقيته دون اعتبار أو مراعاة لتسلسلها الزمني، وتدرجها التاريخي؛ لعدم أهميته في رأيي في مثل هذا الباب.

خامساً: أعرضت عن عنونة النوادر وتسميتها بموضوعات وتقسيمها النوعي أو النسبي؛ لعدم الحاجة إليه، ولأترك الحرية لفهم القارئ، واحتراماً لعقله.

سادساً: جميع ما أوردته أعريته من الاسناد جرياً على عادة السابقين في هذا الباب وأجدني انتقيت منها ما أشد أحواله أن لا يصدق ولا يكذب كحال مرويات بني اسرائيل، ولي في ذلك سلف.

سابعاً: لما كان التراث العربي والأعجمي؛ القديم منه والحديث مملوءاً بنوادر وفكاهات ويصعب حصره في كتاب واحد قد يثقل كاهل قارئه أو «جيبه ومحفظته» رأيت أن أكتفي ـ إلا قليلاً ـ بإثبات القديم منها، واجتزاء الحديث منها في كتاب مستقل ـ وهو بصدد الإصدار قريباً ـ بإذن الله ـ وبنفس العنوان.

وأسأل الله العون والتوفيق والسداد.

الدلالات اللغوية للابتسامة

لغتنا العربية غنيّة بالكلمات الدالة على السرور والفُكاهة والضحك وأنواعه وحالاته.

فمن الكلمات الدالة على الفُكاهة والسرور والضحك:

بسم: بسم يبسم بسماً، وابتسم وتبسم، وهو أقل الضحك وأحسنه، قال الليث: بسم إذا فتح شفتيه كالمكاشر، ورجل بسام ومبسام كثير التبسم.

البِشْر: وهو طلاقة الوجه، يُقال بَشَر فلان فلاناً وبشّره وأَبْشَره، والاسم البِشْر والبِشَارة، والرجل بشير ومُبَشِّر، والاستبشار بالشيء الفرح به وتوسم الخير فيه.

والبَشُّ والبشاشة: طلاقة الوجه والإقبال على من أحبك، والضحك إليه، وفرح الصديق بالصديق، وهو رجل بَشٌّ وباشٌّ.

والبهجة والابتهاج: السرور، وقد بَهِج إذا فرح ، فهو بَهِجٌ وبهيج ومبتهج.

الدغدغة: وهي السخرية في أغلب استعمالتها.

السرور والسُّر والسرّاء: الفرح، وقد سرّه بكذا فهو مسرور.

الضَّحك: يُقال ضَحِكت مثل عملت وتَضَحَّك الرجل وتضاحك واستضحك، وأضحكه غيره وضَحّكه وضاحكه، وتضاحك القوم، ورجل

ضاحك وضحّاك وضَحوك وضُحكة (بفتح الحاء) وهو الذي يضحك من الناس، وضُحْكة (بسكون الحاء) من يضحك منه الناس، والضحّاك والضحوك والمضحاك، والضُّحُكَّة: كثير الضحك، والأضحوكة الكلمة أو الفعالة التي يُضحك منها.

الطّرَب: خفة تعترى الفرحان.

الظّرف والظّرافة: ظَرُفَ الرجل فهو ظريف، وأنا أستظرفه، وهو يتظرف ويتظارف يتصنع الظرف.

الفرح: السرور، فرح بكذا فهو فَرح وفروح وفارح ومفروح وفرحان ومِفراح، وفرّحه غيره وأفرحه.

الفُكاهة والفَكيهة: الإطراف بملح الكلام والدعابة، والمفاكهة والتفاكه التمازح، ورجل فَكِهٌ وفاكه ومفاكه طيب النفس ضحوك. أو يحدث صحبه فيضحكهم، والأفكوهة الأمْلوحة.

المَرَح والمِراح: شدة الفرح، يُقال رجل مَرِحٌ ومِمْراح ومَرُوح ومِرِّيح.

الممارزة: المفاكهة التي تشبه السباب.

المَزْح والمِزاح: الدعابة، مَزَح مَزْحاً ومُزاحا ومُزاحة، ومازح غيره وتمازحا، والرجل مازح ومَزَّاح.

والمُلحة والأملوحة: الحديث الطيب، جمعها مُلَح، وهو يَتَملّح ويتظرف.

والهَزْل والهُزالة والمهازلة: الفكاهة نقيض الجد، يُقال هَزَل (من باب ضرب وفرح) وهازَل، (ورجل هازل ومهازل وهِزِّيل كثير الهزل).

الهَشُّ والهَشاش والهَشاشة: الارتياح والخِفة، يُقال هشَّ فلان لكذا يهشُّ (بكسر الهاء وفتحها) فهو هشٌّ بَشٌّ، ودخلت على فلان فاهتز لي واهتشّ بي.

والهَشيش مَنْ يفرح إذا سُئِلَ، وهَشش فلان فلاناً فَرّحه، وهو ذو هَشاش إلى الخير، واشتَهَشّه كذا إذا فرّحه ونشّطه، والمُتَهَشهشة المرأة المتحببة إلى زوجها الفَرِحة.

● ***ومن الكلمات التي تتناول الضحك ومراتبه وحالاته:***

الابتسام والتبسم: أول مراتب الضحك.

والإهلاس: إخفاء الضحك أو هو الضحك في فتور.

والهُنُوف والهِناف والتّهانف والمهانفة: الضحك فوق التبسم، أو الضحك باستهزاء، وخصَّ به بعضهم ضحك النساء.

والافترار: الضحك الحسن.

والكَتْكتة: الإغراب في الضحك، أو هو أشد من الافترار.

والقَرْقرة والكَركَرْة: أقوى من الكتكتة؛ لأنها إغراب في الضحك وترجيع.

والطَّخْطخة: الضحك بصوت فيه طِيْخ طِيْخ.

والهَزْق والإهْزاق: الإكثار من الضحك.

والهَزْرة: من أسوأ الضحك، وهي أن يذهب الضحك بالضاحك كل مذهب.

وللتوسع والاستزادة انظر في ذلك أساس البلاغة للزمخشري، ومختار الصحاح للجوهري، والقاموس للفيروز أبادي والمخصص لابن سيده، وفقه اللغة للثعالبي وغيرها.

ابتســم

يرى كثير من المفكرين أن الضحك والابتسامة من أقوى الأسباب التي تدفع الإنسان ليكون أكثر فاعلية وإنتاجاً.

وتخلص توصياتهم: أن يكون الجميع - كل بحسب موقعه على شتى ضروب الحياة - إذا أراد أن يعيش مطمئناً مرتاحاً سعيداً أن يكون مرحاً مبتسماً ضاحكاً، وهذا من شأنه أن يخلق جواً من النقاء والصفاء وطرد السآمة والملل والقلق من هذه الحياة.

يقول الصينيون في حكمة يرددونها: «إن الرجل الذي لا يعرف كيف يبتسم لاينبغي له أن يفتح متجراً».

وقد وصف عدد من العلماء الضحك بأنه اختلاجات عقلية تستهلك الكميات الفائضة من التوتر.

ولا غرو فإن الضحك - وأعني به الضحك المعتدل - بلسم للروح، ودواء للنفس، وراحة للخاطر المكدود بعد الجهد والعمل. والابتسامة والضحك فن من فنون الحياة لا يرغب الكثير أن يتعلمه رغم سهولته ويسره.

يقول أبو الدرداء - رضي الله عنه -: إني لأجم فؤداي ببعض الباطل «أي اللهو المباح» لأنشط الحق.

ويقول أبو الفرج ابن الجوزي: مازال العلماء الأفاضل يعجبهم الملح، ويهشون لها؛ لأنها تجم النفس، وتريح القلب من كد الفكر.

وتقول الحكمة: ابتسم لغريمك يسامحك، ولصديقك يفديك.

واعلم أني لو استطردت في ذكر فوائد الضحك والاستجمام على النفس البشرية لاتسع المقام، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

جاء في العقد الفريد بأنه: كان يوحنا وشمعون من الحواريين وكان يوحنا لا يجلس مجلساً إلا وضحك وأضحك من حوله وكان شمعون لا يجلس مجلساً إلا بكى وأبكى من حوله فقال شمعون ليوحنا: ما أكثر ضحكك كأنك قد فرغت من عملك.

فقال يوحنا: وأنت ما أكثر بكاءك كأنك قد يئست من ربك.

فأوحى الله إلى المسيح عليه السلام: أن أحبَّ السيرتين إليَّ سيرة يوحنا.

يقول أحدهم: تؤكد الأبحاث والدراسات أن معظم أعراض الاكتئاب والملل أو الضيق تنشأ من جراء الاستغراق في العمل الجاد بصورة دائمة مما يجعل الإنسان ضجراً ملولاً ثائراً عصبي المزاج.

والوصفة التي يصفها الجميع لمثل هذا الحال هي اللجوء إلى الضحك. فالضحك يتيح للإنسان مواصلة عمله بروح معنوية مرتفعة وفي حيوية ونشاط.

والشخصية الباسمة أقرب إلى النجاح من غيرها إذ تستطيع بسهولة غزو قلوب الآخرين.

يقول الأصمعى: بالعمل وصلنا، وبالملح نلنا.

ولذلك فإن الإنسان إذا كان في حالة نفسية مرتفعة يكون أقدر على التفكير والأداء.

وأنا هنا أدعوك للقيام بأفضل تمرين رياضي لأشرف مكان في جسدك وهو الضحك. إذ إنك عندما تبتسم فإنك تحرك في وجهك ثلاث عشرة عضلة.

وقد ثبت بالاستقراء والمتابعة أن الضاحكين المبتسمين بكثرة أقل الناس تعرضاً لتعرجات تقاسيم الوجه التي سببها الهرم.

وكانت العرب تمدح ضحوك السن، وتجعله من عظيم مآثر المرء وكريم سجاياه وسخاوة طبعه ونداوة خاطره:

ضحوك السن يطرب للعطايا

ويفرح إن تعرض بالسؤال

وقال زهير في «هرم»:

تراه إذا ما جئته متهللا

كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ثم إنني أدعوك إلى التوسط، وأنهاك عن الإسراف، فلا عبوس مخيف قاتم، ولا قهقهة مستمرة عابثة، لكنه جدٌّ وقور، وخفه روح واثقة.

أهازل حيث الهزل يحسن بالفتى

وإني إذا جد الرجال لذو جد

يقول الحسن البصري رحمه الله: إن هذه القلوب تحيا وتموت، فإذا حييت فاحملوها على هذه النافلة، وإذا ماتت فاحملوها على الفريضة.

وقال عطاء بن السائب: كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا.

إن انقباض الوجه، والعبوس والاشمئزاز، والتذمر ومرادفات هذه الكلمات مصطلحات أحذرك منها، وأنصحك بمحوها من قاموس حياتك واستمع لهذه القصة: طلب عمال إحدى المحلات التجارية الكبرى في باريس رفع أجورهم، فرفض ذلك صاحب العمل فما كان من عماله إلا أن اتفقوا أن لا يبتسموا للزبائن كرد فعل على صاحب المحل. فكانت النتيجة أن انخفض دخل المحل في الأسبوع الأول حوالي ٦٠٪ عن متوسط دخله في الأسابيع السابقة.

يقول أحمد أمين في «فيْض الخاطر»: «ليس المبتسمون للحياة أسعد حالاً لأنفسهم فقط، بل هم كذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالاً للمسئولية، وأصلح لمواجهة الشدائد ومعالجة الصعاب، والإتيان بعظائم الأمور التي تنفعهم وتنفع الناس.

لو خُيِّرت بين مال كثير أو منصب خطير، وبين نفس راضية باسمة؛ لاخترتُ الثانية، فما المال مع العبوس؟! وما المنصب مع انقباض النفس؟!

وما كل ما في الحياة إذا كان صاحبه ضيِّقاً حرَجا كأنه عائد من جنازة حبيب؟! وما جمال الزوجة إذا عبست وقلبت بيتها جحيماً؟! لخَيرٌ منه - ألف مرة - زوجة لم تبلغ مبلغها في الجمال وجعلت بيتها جنَّة.

النفس الباسمة ترى الصعاب، فيلذُّها التغلُّب عليها، تنظرها فتَبسَّم، وتعالجها فتبسم، وتتغلب عليها فتبسم. والنفس العابسة لا ترى صعاباً فتخلقها، وإذا رأتها أكبرتها واستصغرت همَّتها بجانبها فهربت منها، وقبعت في جُحرها تسبُّ الدهر والزمان والمكان، وتعلَّلت بلو وإذا وإن. وما الدهر الذي لعنه إلا مزاجه وتربيته، إنه يودُّ النجاح في الحياة ولا يريد أن يدفع ثمنه، إنه يرى في كل طريق أسداً رابضاً، إنه ينتظر حتى تمطر السماء ذهباً أو تنشقّ الأرض عن كَنز.

ليس يعبِّس النفس والوجه كاليأس، فإنْ أردتَ الابتسام فحارب اليأس. إن الفرصة سانحة لك وللناس، والنجاح مفتوحٌ بابُه لك وللناس، فعوِّدْ عقلك تفتح الأمل وتوقُّعَ الخير في المستقبل».

والآن أتركك لتطرب مع هذه المقطوعة الشائقة الماتعة:

يقول إيليا أبو ماضي:

قال: «السماءُ كئيبةٌ!» وتجهَّما

قلتُ: ابتسم يكفي التجهُّمُ في السماء!

قال: الصِّبا ولَّى! فقلتُ لهُ: ابتسمْ

لن يُرجعَ الأسفُ الصِّبا المتصرِّمَا

قال: التي كانت سمائي في الهوى
صارت لنفسي في الغرام جَهنَّما
خانت عهودي بعدما ملَّكتُها
قلبي، فكيفَ أُطيقُ أن أتبسَّما!
قلتُ: ابتسم واطرب فلو قارنتها
قضَّيتَ عمرك كله متألما!
قال: التجارة في صراع هائل
مثل المسافر كاد يقتله الظما
أو غادة مسلولة محتاجة
لدم، وتنفُث كلما لهثت دَما!
قلتُ: ابتسم، ما أنت جالب دائها
وشفائها، فإذا ابتسمت فربما..
أيكون غيرك مجرماً، وتبيت في
وجل كأنك أنت صرت المُجرما؟
قال: العِدى حولي علت صيحاتهم
أأُسرُّ والأعداءُ حولي في الحِمَى؟
قلت: ابتسم، لم يطلبوك بذمهم
لو لم تكن منهم أجل وأعظما!
قال: المواسم قد بدت أعلامها
وتعرضت لي في الملابس والدُمى
وعليَّ للأحباب فرض لازم
لكن كفي ليس تملك درهما

قلت: ابتــسم، يكفــيك أنك لم تزل
حــيّــاً، ولست من الأحبــة مُــعــدمــا!
قــال: الليــالي جــرعــتي علقــمــا
قلت: ابتــسم ولئن جــرعت العلقــمــا
فلعل غـــيـــرك إن رآك مـــرنما
طرح الكآبة جـــانبـــا وترنمــا
أتراك تغنم بالتـــبـــرم درهمـــا
أم أنت تخــسر بالبشاشة مغنما؟
يا صــاح، لا خطر على شفــتيك أن
تتــثلمـــا، والوجــه أن يتــحطمــا
فاضحك فإن الشهب تضحك والدُّجى
مـــتـــلاطم، ولذا نحبُّ الأنجُـــمـــا!
قــال: البــشــاشــة ليس تُسعِدُ كائناً
يأتي إلى الدنيــا ويذهب مُــرغَــمــا
قلتُ: ابتــسم مـــا دامَ بينك والردى
شــبــرٌ، فــإنَّك بعــدُ لن تتــبــسـمــا

ما أحوجنا إلى البسمة وطلاقة الوجه، وانشراح الصدر وأريحية الخلق، ولطف الروح، ولين الجانب؛ «**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا؛ حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد**».

الرسول ﷺ ضحاكاً بساماً

كان أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه، بل جعل الابتسامة دينا يتعبد الله به فقال ﷺ: «**وتبسمك في وجه أخيك صدقة**» والمستعرض لحياته عليه الصلاة والسلام يجدها قد تخللها نوع من الدعابة والمزاح ولا غرو فهو الرحمة المهداة بأبي هو وأمي قال عنه ربه وخالقه جل وعلا: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾.

بُعث رحمة للعالمين، وأحقُّ الناس بهذه الرحمة أهله وقرابته وأحبابه وأصحابه. وكانت تعلو محيَّاه الطاهر البسمة المشرقة الموحية، فإذا قابل بها الناس أسر قلوبهم أسراً؛ فمالت نفوسهم بالكلية إليه وتهافتت أرواحهم عليه، يبتسم عن مثل البرد في وجه أبهى من الشمس، وجبين أزهى من البدر، وفم أطهر من الأقحوان، وخلق أندى من الرياض، وودٍّ أرق من النسيم، يمزح ولا يقول إلا حقاً، فيكون مزحه على أرواح أصحابه أهنى من قطرات الماء على كبد الصادي، وألطف من يد الوالد الحاني على رأس ابنه الوديع، يمازحهم فتنشط أرواحهم وتنشرح صدورهم وتنطلق أسارير وجوههم، فلا والله ما يريدون الدنيا كلها في جلسة واحدة من جلساته، ولا والله لا يرغبون في القناطير المقنطرة من الذهب والفضة في كلمة حانية وادعة مشرقة من كلماته.

يقول جرير بن عبدالله البجلي: «ما رآني رسول الله ﷺ إلاَّ تبسَّم في وجهي». وجرير يفتخر بهذا العطاء ويعلن هذا السخاء، فهذه البسمة الوارفة الدافئة الصادقة أجلّ عند جرير من كلِّ الذكريات وأسمى من كل الأمنيات.

يبتسم في وجهه فكفى، يملأ روحه براً وحناناً ولطفاً، ويشبع قلبه سماحة ورحمة ووداً، ولا تظن المسألة عادية أو أن الموقف سهل بسيط، لأنك ما عشت الحدث وما لابست القضية.

والرسول ﷺ في ضحكه ومزاحه ودعابته وسط بين من جفَّ خلقه ويبس طبعه وتجهَّم مُحيَّاه وعبس وجهه، وبين من أكثر من الضحك واستهتر في المزاح وأدمن الدعابة والخفة، فكان ﷺ يضحك في مناسبات حتى تبدو نواجذه، ولكنه لم يستغرق في الضحك حتى يهتز جسمه أو يتمايل أو تبدو لهواته، وهي أقصى الحلق.

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**وإياك والضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[1].

وقد ورد أنه مازح بعض أصحابه فقال له أحدهم: أريد أن تحملني يا رسول الله على جمل، قال: «**لا أجد لك إلا ولد الناقة**»، فولَّى الرجل فدعاه وقال: «**وهل تلد الإبل إلا النوقُ؟!**»[2] أي أن الجمل أصلاً ولد ناقة.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٠٣٤)، والترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٤٢١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر: البيان والتعريف (١ / ٢٢)، وكشف الخفاء (٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٤٠٥)، وأبو داود (٤٩٩٨)، والترمذي (١٩٩١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ويروى أن عجوزاً أتتهﷺ تطلب منه أن يدعو لها بدخول الجنة، فقال: «**لا يدخل الجنة عجوز**» فولَّت تبكي، فدعاها وقال: «**أما سمعت قول الله سبحانه:** ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[1].

ويأتي أزمهر (وفي لفظ زاهر) وكان يهدي النبيﷺ الهدية من البادية، وكانﷺ يقول: «**زاهر باديتنا ونحن حاضرته**» وكانﷺ يحبه جاءه يوماً وهو يبيع متاعه في السوق فاحتضنه من خلفه فقال: **أرسلني من هذا؟** فلما عرف أنه النبيﷺ صار يمكن من صدره الشريف، وجعل النبيﷺ يقول: «**من يشتري هذا العبد**» فقال: يا رسول الله تجدني كاسداً؟! فقال عليه الصلاة والسلام: «**ولكنك عندالله لست بكاسد**».

كان ضحكه طاعة لربه تعالى، وفيه مَن مقاصد الاقتداء والأسوة ما يفوق الوصف، لم يكن ضحكه عبثاً أو لهواً أو تزجية للوقت وقتلاً للزمن.

يركبﷺ راحلته مسافراً فيدعو بدعاء السفر ثم يقول: «**اللهم اغفر لي ذنبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» ثم يضحكﷺ، فيسأله أصحابه: لم ضحكتَ يا رسول الله؟ فقال: «**يضحك ربك إذا قال العبد: اللهم اغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ويقول : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا**»[2].

---

(١) أخرجه الطبراني، انظر: مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٩).
(٢) أخرجه أحمد (٩٣٢)، وأبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦) عن علي رضي الله عنه، وصححه.

ويتلو ﷺ قصة الرجل الذي هو آخر من يدخل الجنة ويخرج من النار، ويسأل ربه شيئاً فشيئاً حتى يعطيه الله عشرة أمثال ما تمنَّى، فيقول الرجل: **أتهزأ بي وأنت رب العالمين؟** فيضحك ﷺ عند ذلك.

فسبحان من رفع قدره حتى صار ضحكه يحفظ في بطون الأسفار كأنه أعجب قصة من قصص العبر والعظات، وتبارك من شرف منزلته حتى جعل مزحه يرويه الثقات عن الثقات، كأنه فريضة قائمة، فصلَّى الله عليه وعلى أصحابه وآله ما تنفَّس صباح وعسعس ليل.

والآن وبعد هذه المقدمات التي أرجو أن تكون قد أوضحت الهدف من تأليف هذا الكتاب أتركك لتعيش مع هذه النوادر الماتعة والفكاهات الرائعة.

مع الظرف والظرفاء

● كان أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف مع قوم، فرأوا قطيعاً من غنم فقال أبو سلمة: اللهم إن كان في سابق علمك أن أكون خليفة فاسقنا من لبنها، فانتهوا إليها فإذا هي تيوس كلها.

*****

● رأى رجل في منامه أن أمامه غنماً، وكأنه يُعطَى بها ثمانية. ففتح عينية، فلم ير شيئاً، فغمض عينيه ومدّ يده، وقال: هاتوا أربعة أربعة.

*****

● دُعي بعض المغفلين إلى وليمة، فجعل الناس يأكلون، وهو مشغول بالنظر إلى الستور المعلقة على الحيطان، فقيل له: مالك لا تأكل؟ فقال: والله لقد طال تعجبي من هذه الستور الطوال، كيف دخَلتْ من هذا الباب الصغير؟

*****

● جاء أعرابي إلى المسجد، والإمام يخطب، فقال لرجل من القوم: ما هذا؟ قال له: دعوة إلى الطعام. قال : فما يقول الذي على المنبر؟ قال يقول: إن الأعراب لا يرضون أن يأكلوا حتى يحملوا معهم بعض الطعام. فتخطى الأعرابي الناس حتى دنا من الخطيب، فقال له: يا هذا، إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤنا.

*****

● خرج أبو الغصن من منزله يومًا في الليل، فعثر في دهليز منزله بقتيل، فضَجِر به، وجرّه إلى بئر منزله، فألقاه فيها، وعلم أبوه، فأخرج القتيل وغَيَّبه، وخنق كبشاً حتى قتله، وألقاه في البئر بعده. ثم إن أهل القتيل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه، فتلقاهم أبو الغصن، فقال: في دارنا رجل مقتول، فتعالوا انظروا، أهو صاحبكم؟ فعدلوا إلى منزله، وأنزلوه في البئر، فلما رأى الكبش ناداهم، وقال: يا هؤلاء، هل كان لصاحبكم قرن؟ فضحكوا ومرُّوا.

*****

● قيل لأعرابي ما يمنعك أن تغزو؟ قال: والله إني لأبغض الموت على فراشي فكيف أمضي إليه ركضاً.

*****

● دخل الخليل بن أحمد الفراهيدي على مريض نحوي وعنده أخ له فقال للمريض:

افتح عيناك، وحرك شفتاك، إن أبو محمد جالساً، فقال الخليل:

إن أكثر علة أخيك من كلامك!

*****

● قال رجل لسعيد بن عبدالملك الكاتب:

تأمر بشيئاً؟

قال: نعم، بتقوى الله، وبإسقاط ألف شيء!.

*****

• دخل الشعبي على الحجاج، فقال له: كم عطاءك؟ قال: ألفين.

قال: ويحك! كم عطاؤك؟ قال: ألفان.

فقال: فلم لحنت فيما لا يلحنُ فيه مثلك؟

قال: لحن الأمير فلحنت، وأعرب الأمير فأعربتُ، ولم أكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه، فأكون كالقرع له بلحنه، والمستطيل عليه بفضل القول قبله.

فأعجبه ذلك منه، ووهبه مالاً.

*****

• نظر أعرابي إلى رجل سمين فقال: أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك.

*****

• قال أعرابي: اللهم إني أسألك ميتة كميتة أبي خارجة؛ أكل بذجًا وشرب مشعلاً ونام في الشمس فمات دفآن شبعان ريان.

*****

• يروى أن رجلاً عاد مريضاً فقال له: ما علتك؟ قال: وَجَع الركبة، فقال الرجل: إن جريراً يقول بيتاً ذهب عني صدره، وآخره هو: **وليس لداء الركبتين دواء**. فقال له: ليتما ذهب عنك صدره مع نفسك.

*****

● يروى أن مغفلاً خرج من منزله يحمل على عاتقه صبياً عليه قميص أحمر ومشى به، ثم نسيه، فجعل يقول لكل من يراه: أرأيت صبياً عليه قميص أحمر؟ فقال له أحدهم: لعله هذا الذي تحمله على عاتقك. فرفع رأسه، ولطم الصبي، وقال له: ياخبيث، ألم أقل لك إذا كنت معي فلا تفارقني.

*****

● قال رجل لزياد بن أبي سفيان: أيها الأمير، إن «أبينا» هلك، وإن «أخينا» غصبنا على ميراثنا من «أبانا»! فقال زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من ميراث أبيك.

*****

● دخل أبو دُلامة على أم سَلَمة المخزومية زوجة السفاح ليعزيها في وفاته، وهو يبكي، وأنشدها قصيدته في رثائه فلما أتم إنشادها قالت له: ما أصيب أحد بالسفاح غيري وغيرك، فقال لها: لم يصب به أحد سواي، أنت لك ولد منه تَتَسَلينَ به، وأنا لا ولد لي منه، فضحكت أم سلمة، ولم تكن ضحكت منذ مات زوجها، وقالت له: يا زَنْد (هذا هو اسمه) أنت لا تدع أحدًا إلا أضحكته.

*****

● دخل رجل على آخر يأكل أتْرُجّةً بعسل، فأراد أن يقول: السلام عليكم فقال: عَسَلَيْكُم.!!

*****

● قال رجل لآخر: قد أحكمتُ النحو كلّه إلاَّ ثلاث لفظات أشكلت عليَّ. قال: وما هي؟ قال: أبا فلان، وأبو فلان، وأبي فلان، ما الفرق بينها؟ قال له صاحبه: أمّا أبو فلان فللملوك والأمراء والقضاة والحكام، وأما أبا فلان فللتجار وأرباب الأموال والوسط من الناس، وأما أبي فلان فللسفلة والأسقاط والأوباش من الناس!

*****

● يُحكى أن النضر بن شميل مرض، فدخل عليه قوم يعودونه، فقال رجلٌ منهم يكنى أبا صالح: مسح الله ما بك. فقال له: لا تقل مسح (بالسين)، ولكن قل: مصح (بالصاد)، أي أذهبه وفرَّقه، أما سمعت قول الشاعر:

وإذا ما الخمر فيها أزبدت

أفل الإزبادُ فيها ومصح

فقال له الرجل: إنَّ السين قد تبدل من الصاد، كما يقال: الصراط والسراط، وصقرٌ وسقرٌ، فقال له النضر: فإذن أنت أبو سالح.

*****

● سأل أبو عون رجلاً عن مسألة، فقال له: على الخبير بها سَقَطت، لقد سألتُ عنها أبي، فقال لي: سألت عنها جَدّك، فقال: لا أدري.

*****

● عاد بعض المغفلين مريضاً. فقال لأهله: آجركم الله. فقالوا: إنه حي لم يمت بعد، فقال: يموت إن شاء الله.

*****

● عاد رجل مريضاً لم يكن به بأس، فقال: لاضير، إذا رأيتم المريض هكذا فاغسلوا أيديكم منه، فقد كان أبي مريضاً بهذا الداء فمات.

*****

● قدّم أحد الشباب مجموعة قصائده إلى أحد الشعراء الكبار وطلب إليه أن يصارحه برأيه فيها؟ فقرأها ولم يستحسنها. وبعد أيام جاءه الشاب يستطلع رأيه فقال له:

قل لي، هل هدّدك أحدٌ بالقتل إذا لم تنظم هذه الأشعار؟

قال: لا.

فقال:

إذن، لا عذر لك في نظمها.

*****

● كان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه، فاعتلَّ أبوه علّة شديدة أشرف فيها على الموت، فاجتمع عليه أولاده وقالوا له: ندعو لك فلاناً أخانا.

قال: لا .. إن جاءني قتلني. فقالوا: نحن نوصيه أن لا يتكلم.

فَدَعَوْه، فلمَّا دخل عليه قال له: يا أبت، قل لا إله إلا الله تدخل الجنة، وتنجو من النار، يا أبت، والله ما أشغلني عنك إلا فلان فإنه دعاني

بالأمس فأهرس وأعدس واستبذج، وسكبج وطهبج وأفرج ودحج، وأبصل وأمضر ولوزج وافلوذج.. فصاح أبوه غمِّضوني فقد سبق أخوكم ملك الموت إلى قبض روحي.

*****

● مر أبو الغصن بجماعة وفي كمه خوخ، فقال لهم: من أخبرني بما في كمي فله أكبر خوخة فيه. فقالوا: خوخ، فقال: ما أخبركم بما فيه إلا ابن الفاعلة.

*****

● مرّ عيسى بن موسى الهاشمي على أبي الغصن وهو يحفر بظهر الكوفة موضعاً، فقال له: مالك يا أبا الغصن؟ قال: إني قد دفنت في هذه الصحراء دراهم. ولست أهتدي إلى مكانها. فقال عيسى: كان يجب أن تجعل عليها علامة. قال: قد فعلت. قال: ماذا؟ قال: سحابة في السماء كانت تظلها، ولست أرى العلامة الآن.

*****

● وقالوا في المثل: «**أعيا من باقل**»، وذلك أنه اشترى عنزاً بأحد عشر درهماً، وجرها بحبل في يده، فسئل: بكم اشتريت العنز؟ ففتح كفيه، وفرّق أصابعه، وأخرج لسانه ـ يريد أنه اشتراها بأحد عشر درهماً ـ فشردت العنز منه، وضاعت.

*****

● خرج الحجاج متصيداً بالمدينة فوقف على أعرابي يرعى إبلاً له فقال له: يا أعرابي، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج؟ قال له الأعرابي: غشوم ظلوم لا حياه الله، فقال: فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبدالملك؟ قال: فأظلم وأغشم. فبينما هو كذلك إذ أحاطت به الخيل، فأومأ الحجاج إلى الأعرابي، فأُخذ وحُمل، فلما صار معه قال: من هذا؟ قالوا له: الحجاج، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه، ثم ناداه: يا حجاج. قال: ما تشاء يا أعرابي؟ قال: السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوماً!!، فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله.

*****

● وخرج أبو العباس السفاح متنزها بالأنبار، فأمعن في نزهته، وانتبذ من أصحابه فوافى خباء لأعرابي، فقال له الأعرابي: ممن الرجل؟ قال: من كنانة، قال: من أي كنانة؟ قال: من أبغض كنانة إلى كنانة، قال: فأنت إذن من قريش؟ قال: نعم، قال: فمن أي قريش؟ قال: من أبغض قريش إلى قريش، قال: فأنت إذن من ولد عبدالمطلب؟ قال: نعم، قال: فمن أي ولد عبدالطلب؟ قال: من أبغض ولد عبدالمطلب إلى ولد عبدالمطلب، قال: فأنت إذن أمير المؤمنين، السلام عليك يا أمير المؤمنين ووثب إليه، فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة.

*****

● ولَّى يوسف بن عمر الثقفي صاحب العراق أعرابيًا على عمل له؛ فأصاب عليه خيانة فعزله فلما قدم عليه قال له: يا عدو الله؛ أكلت مال الله؟! قال الأعرابي: فمالُ مَنْ آكل إذا لم آكل مال الله؟! لقد راودت إبليس أن يعطيني فلساً واحداً فما فعل. فضحك منه وخلى سبيله.

*****

● امتدح شاعر ملكاً بقصيدة رائعة فأمر له الملك ببردعة، فحملها وخرج، فلقيه أحد أصحابه وسأله: ما هذه؟ فقال: امتدحت الملك بأنفسِ أشعاري فخلعَ عليَّ أفخر ملابسه.

*****

● وقف المهدي على عجوز من العرب فقال لها: ممّن أنت؟ قالت: منْ طيء، فقال: ما منع طيئاً أن يكون فيهم آخَرُ مِثْلُ حاتم؟ فقالت: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثْلُك. فعجب من سرعة جوابها وأمر لها بصِلة.

*****

● قيل: إن رجلاً شهد عند القاضي سِوَارِ بن عبدالله فقال له: ما صناعتك؟

قال: معلم صبيان.

قال: إنّا لا نجيز شهادة مؤدّب الصبيان لأنه يأخذ على تعليم القرآن أجراً.

فقال المعلم: وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجراً.

قال سوار: إني أُكْرِهت على القضاء، فقال المعلم: هَبْ أنك أُكرهتَ على القضاء، فهل أُكرهت على أخذ المال؟ فسكت سوار وقال: هاتِ شهادتك وأجازها.

*****

• كان للأستاذ عثمان لبيب حمار يركبه في ذهابه إلى المدارس بالقاهرة، فسرقه اللصوص، وبلغ الخبر محمود سلامة صاحب جريدة «الواعظ» فرثى الحمار المسروق، وواسى صاحبه بقوله:

قف بسوق الحمير وانظر مليّا

هل ترى أدهماً أغرَّ المحيّا

خلسته يد اللصوص صباحاً

موكفاً مُلجما معّداً مهيّا

فخلا اصطبله وأصبح قاعاً

صفصفاً خاوي العروش خليّا

كان يا حسرتا عليه صبوراً

قانع النفس راضياً مرضيّا

كم ليالٍ على الطوى قد طواها

حامداً شاكراً ولم يشك شَيّا

لا لفقر وضيق عيش ولكن

كان في الزهد راغباً وتقيّا

ليت شعري أين الأمان وهذا

جحش عثمان قد عدمناه حيّا

كان عوناً له إذا رام ظعناً

وخليلاً لدى المقام صفيّا

كان إن قلت (هشْ) أجابك طوعاً

وإذا قلت (حا) انتضى سمهريّا.

لك فيــه العــزاء عــثــمــان أمــا
ســالبــوه فــســوف يلقــون غــيّــا

*****

• قال معاوية لعبدالله بن عبَّاس: لي عندك حاجةٌ، أفتقضيها؟ فقال له ابن عبّاس: ولي عندك حاجةٌ، أفتقضيها لي يا أمير المؤمنين؟ فقال له: نعم. فقال له ابن عبَّاس: سل حاجتك يا أمير المؤمنين. قال: أن تَهَبَ لي دُورك وضياعك التي بالطائف. قال: قد فعلتُ. فقال له معاوية: قد وصلت الرَّحِمَ، فسل حاجتك. قال: حاجتي إليك أن تردّها إليَّ. قال معاوية: قد فعلتُ.

*****

• قال رجل للشعبي: ما تقول في رجل أدخل أصبعه في أنفه فخرج عليه دم أترى له أن يحجم؟

فقال: الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة.

*****

• دخل رجل على الشعبي وهو في المسجد ومعه امرأته.

فقال: أيكم الشعبي؟!

فقال: هذه. وأشار إلى امرأته!!.

*****

● سأل رجل الشعبي في مجلسه عن حديث: «تسحروا، ولو أن يضع أحدكم إصبعه على التراب ثم يضعه في فيه».

وقال: أي الأصابع؟

فتناول الشعبي إبهام رجله وقال: هذه!!! *«يشير إلى عدم صحة الحديث»*.

*****

● سأل بعض السوقة الشعبي عمن صلّى العيد قبل أن يشتري لأهله ناطفة «أي نوع من الحلوى» ما كفارته؟

فقال الشعبي: كفارته أن يتصدق بدرهمين!!

فلما ولى قيل له في ذلك، فقال: لا بأس يفرح قلوب المساكين بدراهم هذا الأحمق.

*****

● قال مجاهد: دخل الشعبي الحمام فرأى داود الأزدي بلا مئزر، فغمض عينيه.

فقال داود: متى عميت يا أبا عمر؟

قال: منذ هتك الله سترك!!

*****

● سأل رجل الشعبي عن المسح على اللحية؟

فقال: خللها بأصابعك.

فقال: أخاف ألا تبلها.

فقال الشعبي: إن خفت فانقعها من أول الليل!!

*****

● صحب طفيلي رجلاً في سفر، فقال له الرجل: امض فاشتر لنا لحماً.

قال: لا والله ما أقدر.

فمضى هو واشترى، قال له: قم فاطبخ.

قال: لا أحسن.

فطبخ الرجل ثم قال له: قم فاثرد .

قال: أنا والله كسلان.

فثرد الرجل ثم قال له: قم فاغرف.

قال: أخشى أن ينقلب على ثيابي.

فغرف الرجل ثم قال له: قم الآن فكلْ.

قال الطفيلي: قد والله استحييت من كثرة خلافي لك، وتقدم فأكل.

*****

● شاهد طفيلي قوماً ذاهبين في وجه؛ فظنهم ذاهبين إلى وليمة فتبعهم؛ فإذا بهم يدخلون على باب السلطان؛ فدخل معهم فإذا بهم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائحهم، فلما أنشد كل واحد منهم شعره، وأخذ جائزته لم يبق إلا الطفيلي، وهو جالس لا ينطق فقيل له:

أنشـــــد.

فقال: لست بشاعر! قالوا: فمن أنت؟

قال أنا من الغاوين الذين قال الله فيهم ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ فضحك السلطان وأمر له بجائزة.

*****

● جاء طفيلي إلى باب دار فيها عرس، فمنع من الدخول، فمضى ثم عاد وقد حمل إحدى نعليه في كمه، وعلق الأخرى في يده، وأخذ خلالاً يتخلل به، وجاء فدق الباب، فقال له البواب: مالك؟

قال: الساعة خرجت ونسيت نعلي هناك.

قال: فادخل.

فدخل وأكل مع القوم ثم خرج.

*****

● خرج طفيلي من منزل قوم مشجوجاً فقيل له: من شجك؟

قال: ضرسي!!.

*****

● قال أحدهم وكان بخيلاً: مرت بنا جنازة يوماً ومعي ابني، ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول: الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا خبز ولا ماء.

فقال ابني: يا أبت، إلى بيتنا والله يذهبون.

*****

● وأنشد طفيلي شعراً لابن له يدعى عبدالحميد يوصيه:

لا تجزعنّ من الغريب
ولا من الرجل البعيد
وادخل كأنك طابخ
بيديك مغرفة الحديد
متدلياً فوق الطعام
تدليَّ الباز الصيود
لتلف ما فوق الموائد
كلها لف الفهود
واطرح حياءك إنما
وجه الطفيلي من حديد
لا تلتفت نحو البقول
ولا إلى غرف الثريد
حتى إذا جاء الطعام
ضربت فيه كالشديد

وعليك بالفالوذجات

فإنها عين القصيد

هذا إذا حررتهم

ودعوتهم هل من مزيد

والعُرس لا يخلو من

اللوزينج الرطب الفنيد

فإذا أتيت به محوت

محاسن الجام الجديد

ثم أغمي عليه عند ذكر اللوزينج ساعة، فلما أفاق رفع رأسه وقال:

وتنقلن على الموا

ئد فعل شيطان مريد

وإذا انتقلت عبثت

بالكعك المجفف والقديد

يا رب أنت رزقتني

هذا على رغم الحسود

واعلم بأنك إن قبـ

ـلت نعمت يا عبدالحميد

*****

● دخل طفيلي على قوم يأكلون، فقال: ما تأكلون؟

فقالوا ـ مستقلين لحضوره ـ: نأكل سماً.

فأدخل يده وقال: الحياة حرام بعدكم.

*****

● كان شاعر النيل حافظ إبراهيم يتردّد على أحد الأطباء، ثم احتجب عنه فترة طويلة من الزمن. واتفق أن رآه الطبيب فسأله:

إزّاي صحّتك دلوقتِ؟

فأجاب بأنها ممتازة، ثم أردف يقول:

لا مؤاخذة يا دكتور إذا كانت صحتي كويّسة، ده غصبِ عنّي والله.

*****

● جاء رجل إلى أحد الفقهاء يسأله ويقول: إني كلما أنغمس في النهر غمستين وثلاثاً لا أتيقن أنه قد غمسني الماء، ولا أني قد تطهرت، فكيف أصنع؟

قال له: لا تصل.

فقيل له: كيف قلت هذا؟!.

قال: لأن النبيﷺ يقول: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى ينتبه، وعن المجنون حتي يفيق**». ومن ينغمس في النهر مرة أو مرتين أو ثلاثاً ويظن أنه ما اغتسل فهو مجنون.

*****

● جاء رجل إلى فقيه فقال: أفطرت يوماً في رمضان..

فقال: اقض يوماً مكانه.

قال: قضيت، وأتيت أهلي وقد عملوا مأمونية «نوع من الطعام» فسبقتني يدي إليها فأكلت منها.

قال: اقض يوماً آخر مكانه.

قال: قضيت، وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي إليها.

فقال له: أرى أن لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك!!!.

*****

● وسأل رجل أحد الفقهاء عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الإنسان في ثوبه أو خفه أو جبهته.

قال: ارم بها.

فقال الرجل: زعموا أنها تصيح حتى تُردَّ إلى المسجد.

قال: دعها تصيح حتى ينشق حلقها.

قال الرجل: ولها حلق؟!

قال: فمن أين تصيح؟!

*****

● قال أحد الظرفاء:

إذا أقدم إنسان على الزواج فَلِنَقْصٍ في التفكير.

وإذا طلّق فلِنقصٍ في الصبر.

وإذا عاد فتزوّج فلنقصٍ في الذاكرة.

*****

● قال رجل لصديقه: ما فعل فلان بحماره؟

قال: باعِهِ (بكسر العين).

قال: قل: باعَه (بفتح العين).

قال: فلماذا قلت بحمارِه؟

قال: الباء تجر.

قال: فمن جعل باءك تجر وبائي ترفع؟!

*****

● سكن بعض الفقهاء في بيت سقفه يقرقع في كل وقت.

فجاءه صاحب البيت يطلب الأجرة، فقال له: أصلح السقف فإنه يقرقع!

قال: لا تخف فإنه يسبح الله تعالى.

فقال: أخشى أن تدركه الخشية فيسجد.

*****

● قال رجل لبعض الفقهاء: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل؛ فهل أتوجه إلى القبلة أم إلى غيرها؟

قال: توجه إلى ثيابك التي نزعتها.

*****

● قالت امرأة أحد الظرفاء لزوجها ـ وكانت حبلى ـ ونظرت إلى قبح وجهه ـ:

الويل لي إن كان الذي في بطني يشبهك.

قال: بل الويل لك إن كان لا يشبهني.

*****

● نظر أحدهم إلى أمرأته وهي تصعد سلماً فقال لها: أنت طالق إن صعدت، وأنت طالق إن وقفت، وأنت طالق إن نزلت.

فما كان منها إلا أن رمت بنفسها عليه من حيث بلغت.

فقال لها: فداك أبي وأمي! إن مات مالك احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

*****

● قعد رجل على باب داره، فأتاه سائل يسأله فقال له: اجلس، ثم صاح بجارية عنده فقال: ادفعي إلى هذا وزناً من حنطة.

قالت: ما بقي عندنا حنطة.

قال: فأعطيه درهماً.

قالت: ما بقي عندنا دراهم.

قال: فأطعميه رغيفاً.

قالت: وما عندنا رغيف.

فالتفت إليه وقال: انصرف يابن كذا وكذا وزجره ونهره...!!

فقال السائل: سبحان الله، تحرمني وتشتمني!.

فقال: أحببت أن تنصرف وأنت مأجور.

*****

● قال أحدهم لرفيقه: إذا استقبلك كلب في الليل فاقرأ:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾.

فقال: الأوجه عندي أن يكون معك عصا أو حجر، فليس كل كلب يحفظ القرآن!!.

*****

● خاصم أعرابي زوجته، وأراد أن يطلقها، فقالت له:

اذكر طول الصحبة!!؟

فقال: والله مالك عندي ذنب غيره.

*****

● قيل لأحد البخلاء: ما بال حمارك يتبلد إذا توجه نحو المنزل، وحمر الناس إلى منازلها أسرع؟!

فقال: لأنه يعرف سوء المنقلب!!

*****

● وجد أعرابي مرآة - وكان قبيح الصورة - فنظر فيها، فرأى وجهه، فاستقبحه، فرمى بها وقال: لشرٍّ ما طرحك أهلك.

*****

● وقف نحوي على بقال يبيع الباذنجان، فقال له: كيف تبيع؟ قال: عشرين بدانق، فقال: وما عليك أن تقول: عشرون بدانق؟ فظن البقال أنه يستزيده، فقال: ثلاثين بدانق، فقال وما عليك أن تقول: ثلاثون؟ وما زال به إلى أن بلغ السبعين، فقال: وما عليك أن تقول: سبعون؟ فقال البقال: أراك تدور على الثمانون، وذلك لا يكون أبداً.

*****

● قال ابن سودون في قصيدة مضحكة:

وإني سأبدي بعض ما قد علمته
لتعلم أني من ذوي العلم والحجا

فمن ذاك أن الناس من نسل آدم
ومنهم أبو سودون أيضاً وإن قضى

وأن أبي زوجٌ لأمي وأنني
أنا ابنها والناس هم يعرفون ذا

وكم عجب عندي بمصر وغيرها
فمصر بها نيل على الطين قد جرى

بها الفجر قبل الشمس يظهر دائماً
بها الظهر قبل العصر قبل بلا مِرا

وبالشام أقوام إذا ما رأيتهم
ترى ظهر كل منهم وهو من ورا

ويسخن فيها الماء في الصيف دائما
ويبرد فيها الماء في زمن الشتا

*****

● ركب محمد البابلي وعبدالعزيز البشري قارباً في النيل، فخاف البشري، وقال: الحقني يا بابلي، المركب ستغرق. فالتفت إليه البابلي في هدوء، وقال: يا أخي ما تغرق (فلتغرق) هي بتاعتنا.

*****

• قيل لأعرابي: كيف برُّك بأمك؟ قال: ما ضربتها سوطاً قطُّ.

*****

• تبخر مغفل وهو لابس ثياباً نفيسة، فاحترقت، فحلف بالطلاق ألا يتبخر بعدها إلا عرياناً.

*****

• اشترى أبو الغصن دقيقاً، وحمله على حَمَّال، فهرب الحمال بالدقيق، فلما كان بعد أيام رآه أبو الغصن، فهرب منه، فقيل له: مالك يا أبا الغصن قد اختفيت من الحمال الذي سرقك؟ قال: خفت أن يطلب مني أجره.

*****

• هبت ريح شديدة، فاجتمع الناس يدعون الله، ويتوبون، فصاح أبو الغصن: يا قوم، لا تَعجَلوا بالتوبة، فإنما هي زوبعة وتسكن.

*****

• قال فلاح لامرأته: إذا متُّ فتزوّجي جارنا. فقالت له: لماذا؟ قال: لقد باعني مرّة بقرة وغشّني فيها، وأنا أريد أن أثأر لنفسي منه.

*****

• رُؤي ابن خَلف الهمداني وهو يَعدُو في وسط داره عدواً شديداً، يقرأ بصوت عال، فسئل عن ذلك، فقال: أردت أن أسمع صوتي من بعيد.

*****

• قال رجل لأبي الغصن: أتحسن الحساب بإصبعك؟ قال: نعم. قال: خُذ مُدّين من قمح. فعقد أبو الغصن خنصره وبنصره. فقال له: وخذ مُدّين من شعير. فعقد السبابة وإبهامه، وأقام الوُسطى. فقال الرجل: لم أقمت الوسطى؟ قال: لئلا يختلط القمح بالشعير.

*****

• سرقت نعل عامر بن عبدالله الزبيري، فلم يتخذ نعلاً حتى مات، وقال: أكره أن أتخذ نعلاً، فلعل رجلاً يسرقها، فيَأثم.

*****

• ذكر الجاحظ أن كيسان كاتب أبي عبيدة كان يكتب غير ما يسمع، ويقول غير ما يكتب، ويستملي غير ما يقرأ، ويملي غير ما يستملي.

وذكر أنه شهد عند والٍ على رجل، فقال: سمعت بأذني ـ وأشار إلى عينه ـ ورأيت بعيني ـ وأشار إلى أذنه ـ أنه أمسك بتلابيب هذا الرجل ـ وأشار إلى كمه ـ وما زال يضرب خاصرته ـ وأشار إلى فكه ـ فضحك الوالي، وقال: أحسبك قد قرأت كتاب «خَلق الإنسان» على الأصمعي فقال: نعم، قرأته مرتين.

*****

• سأل أبو عبيدة كيسان كاتبه عن اسم رجل من شعراء العرب، فقال: اسمه خداش أو خراش أو رياش، أو خماش، أو شيء آخر، وأظنه

قرشياً. فقال له أبو عبيدة: من أين علمت أن نسبه في قريش؟ فقال: رأيت اكتناف الشينات عليه من كل جانب.

*****

● قال أحدهم: رأيت على الأعمش فروة مقلوبة، صوفها خارج، فأصابها مطر، فمررنا بكلب، فتنحى الأعمش وقال: لا يحسبنا شاة!!!

*****

● خرج الأعمش يوماً وهو يضحك، فقال لأصحابه: أتدرون ممَّ أضحك؟

قالوا: لا.

قال: إني كنت قاعداً في بيتي، فجعلت ابنتي تنظر في وجهي، فقلت: يا بنية ما تنظرين في وجهي؟

قالت: أتعجب من رضا أمي بك!!

*****

● دخل أبو حنيفة على الأعمش يعوده في مرض؛ فقال: يا أبا محمد، لولا أن يثقل عليك لعدتك كل يوم.

فقال: أنت تثقل عليَّ وأنت في بيتك، فكيف في بيتي؟!.

*****

● جاز الأعمش يوماً بابن له صغير وهو يلعب بالطين مع الصبيان فلم يثبته، فقال لبعض من كانوا معه: انظروا إلى هذا ما أقذره من صبي! ويجوز أن يكون أبوه أقذر منه.

فقال له أحدهم: هذا ابنك محمد، ففتح عينيه ومسحهما ثم قال: انظروا بحق الله عليكم، كيف يتقلب في الطين كأنه شبلُ أسد. عين الله عليه!!!

*****

● قال رجل من تلاميذ الأعمش: صنعت للأعمش طعاماً ثم دعوته فمضى معي وأنا أقوده فسقطت رجله في حفرة كان الصبيان قد حفروها يلهون بها فقال: ما هذا؟

قلت: حفرها الصبيان يلعبون.

قال: لا، ولكنك حفرتها لتقع رجلي فيها، والله لا أكلت عندك يومي طعاماً!!

قال: فحملت الطعام إليه.

وقابلته مرة وأدخلته الحمام فلما جئت لأصب الماء الحار على رأسه قال: ما دعاك إلى هذا؟! أردت أن تسلخ قفاي والله لا أكلت عندك يومي هذا طعاماً.

قال: فحملت الطعام إليه.

*****

● قال الأعمش لجليس له: هل تشتهي جدياً سميناً، وأرغفة يانعة، وخلاً حاذقاً؟ قال: نعم.

فأخرج له خبزاً يابساً وخلاً، فقال: الرجل: أين الجدي والأرغفة؟!

فقال: لم أقل إنهما عندي، وإنما قلت: هل تشتهي ذلك؟!!.

*****

● كان جماعة عند الشعبي جلوساً، فمر حمال على ظهره دن خلٍ، فلما رأى الشعبي وضع الدن وقال للشعبي: ما كان اسم امرأة أبليس؟!

قال: ذاك زواج ما شهدناه.

*****

● سأل رجل الشعبي: ما تقول في رجل شتمني في أول يوم من شهر رمضان، أتراه يؤجر؟!

فقال: إن قال لك يا أحمق، رجوت له ذلك.

*****

● قال الأصمعي: حدثني عيسى بن عمر، قال: ولي أعرابي البحرين، فجمع يهودها، فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالوا: نحن قتلناه وصلبناه. فقال الأعرابي: لا جرم! والله لا تخرجون من عندي حتي تؤدوا إليَّ ديته. قال: فما خرجوا حتى أخذ منهم.

*****

● روح الظرف وخفة النفس تدفع الأديب لاستغلال كل حدث وراء النكتة المستملحة والطرافة المحبوبة. وهذا هو الشاعر محمد بن سليم المصري مراسلاً صديقه السراج الوراق حين سقط له في البئر (حمار) فمات، إذ يقول:

يفديك (جحشك) إذ مضى متردياً
وبتالد يفدي الأديب وطارف
عدم الشعير فلم يجده ولا رأى
(تبناً)، وراح من الظما كالتالف
ورأى (البويرة) غير خاف ماؤها
فرمى حشاشة نفسه لمخاوف
قوم يموت حمارهم عطشاً لقد
أزروا (بحاتم) في الزمان السالف

*****

● قيل لأشعب: قد لقيت رجالاً من الصحابة فلو حفظت أحاديث تتحدث بها. فقال: أنا أعلم الناس بالحديث.

قالوا: فحدثنا، قال: حدثني عكرمة، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: «خلتان لا يجتمعان في مؤمن إلا دخل الجنة»، ثم سكت، قيل له: هات، ما الخلتان؟ قال: نسي عكرمة أحدهما ونسيت أنا الأخرى.

*****

● كان الأديب المصري الفكه فكري أباظة يتمشى مع صديقٍ له في أحد شوارع القاهرة أيام الحرب العالمية الثانية. وكان الحديث بينهما عن ارتفاع الأسعار في المواد الغذائية: فالسكّر كان سعره كذا وارتفع إلى كذا، وكذلك اللحم والحبوب وجميع المواد الغذائية. وبينما هما في الحديث إذا بهما أمام كُتّاب، وإذا بالأستاذ يسأل أحد الصِّبية: سبعة في سبعة كمْ يا واد؟ فأجاب: تسعة وخمسين.

فالتفت فكري أباظة إلى صديقه وقال: ودي طول عمرها كانت بتسعة وأربعين...

*****

● ماتت أم ابن عياش، فأتاه سيفويه معزياً، فقال: يا أبا محمد! عظم الله مصيبتك. فتبسم ابن عياش، وقال: قد فعل، فقال: يا أبا محمد! هل كان لأمك ولد؟ فقام ابن عياش عن مجلسه، وضحك حتى استلقى على قفاه.

*****

● طلق الوليد بن يزيد زوجته سُعْدَى، فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه. فدخل عليه أشعب فقال له: هل لك أن تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرة آلاف درهم. قال : أقبضنيها. فأمر له بها، فلما قبضها قال له: هاتِ رسالتك. قال: ائتها فأنشدها:

أسُعدَى هل إليك لنا سبيل

ولا حتى القيامة من تلاقِ

بــلا ولــعــل دهــراً أن يــؤاتــي

بموت من خـليـلـك أو فــــراقِ

قيل: فأتاها أشعب فاستأذن عليها، فأذنت له، فدخل: فقالت له: ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب؟ فقال: يا سيدتي، أرسلني إليك الوليد برسالة، ثم أنشدها الشعر. فقالت لجواريها: عليكن بهذا الخبيث. فقال: يا سيدتي، إنه دفع لي عشرة آلاف درهم فهي لكِ وأعتقيني لوجه الله.

فقالت: والله لا أعتقتك أو تبلغ إليه ما أقول لك. قال: يا سيدتي، فاجعلي لي جعلاً. قالت: لك بساطي هذا. قال: قومي عنه، فقامت، فأخذه وألقاه على ظهره وقال: هاتي رسالتك، فقالت:

أتبكي على سُعدَى وأنت تركتها

فقد ذهبت سُعدَى فما أنت صانعُ؟

فلما بلَّغه الرسالة ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأخذته كظمة فقال لأشعب: اختر مني إحدى ثلاث، إما أن أقتلك، وإما أن أطرحك من هذا القصر، وإما أن ألقيك إلى هذه السباع فتفترسك. فتحير أشعب وأطرق مليًا ثم قال: يا سيدي ما كنت لتعذب عيناً نظرت إلى سُعدى. فتبسم وخلى سبيله.

*****

● خرج الأعمش ذات يوم من منزله بسحر، فمرّ بمسجد بني أسد، وقد أقام المؤذن الصلاة، فدخل يصلي، فافتتح الإمام الركعة الأولى بالبقرة، ثم تلا في الركعة الثانية آل عمران، فلما انصرف قال له

الأعمش: أما تتقي الله، أما سمعت حديث رسول الله ﷺ: «**من أمَّ الناس فليخفف فإن خلفه الكبير والضعيف وذا الحاجة**».

فقال الإمام: فإن الله عز وجل قال:

﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يعرض به!!!

فقال الأعمش: أنا رسول الخاشعين إليك بأنك ثقيل.

*****

• سرق أعرابي صرة فيها دراهم، ثم دخل المسجد يصلي، وكان اسمه موسى، فقرأ الإمام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾.

فقال الأعرابي: والله إنك لساحر، ثم رمى الصرة وخرج.

*****

• أدار الرئيس (باتيني) إحدى جلسات المحكمة التأديبية يَحفُّ به عضوان. فوقف أحد المحامين الناشئين للمرافعة فقال:

في هذه القضية أرى نفسي أمام ثلاث تفاهات. فابتسم الرئيس وقال له:

لقد نسيت النائب العام.

*****

• يقول محمد القزويني مخاطباً أحد الشيوخ، وقد تزوج بامرأة لم (يجز) عليها، فقال مخاطباً ومداعباً:

هنّيــاني فــاليــوم يوم التــهــاني

بفــــتى فـــر عند وقع الطعـــانِ

صـال يحكي الجبـان في الحـرب لما

صــال في رمـــحــه بغــيــر سنانِ

وبينما هو في مجال الهجاء كان على الباب أستاذُهُ القزويني الذي أراد أن يُحرك في نفسه بواعث النظم بدعابته تلك، وبعد الاستفسار عن صحته، وملاطفته انطلق الدكتور البصير معتذراً لأستاذه بهذين البيتين. (ويا لجمال المعنى) إذ يقول:

ســـامح فـــتى زل إلا أن نيـــتـــه

سليـــمـــة مــا بهــا زيغ ولا عــوجُ

أنظر له فـهـو أعـمى شـفـه مـرض

فــمن طريقين عنه يرفع الحـــرج!!

*****

● وقف سائل على فوّال وطلب منه بصلة فأعطاه. فأخذها السائل وانتحى ناحية فشطرها نصفين، ثم عاد إلى الفوال وقدّم له أحد الشطرين وطلب به فولاً، ثم قدم الشطر الثاني وطلب به خبزاً. فابتسم الفوّال وقال للسائل:

ليس الحق عليك، بل على الذي عمل لك رأس مال.

*****

● قيل للعتابي:

لِمَ لا تصحب السلطان على ما فيك من الأدب؟

قال:

لأني رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيء، ويَرمي من السُّور في غير شيء، ولا أدري أيّ الرّجُلَين أكون.

*****

● قال عيسى بن زيد المراكبي، وكان من أملح الناس: كان لي غلام من أكسل خلق الله. فوجَّهته يوماً ليشتري عنباً وتيناً، فأبطأ في العودة وجاءني بعنب وحده. فقلت له: أبطأتَ ثم جئتني بإحدى الحاجتين؟ فأوجعته ضرباً وقلت له: ينبغي لك بعد اليوم إذا استقضيتكَ حاجةً أن تقضي حاجتين. ثم لم ألبث بعدها أن مرضتُ، فقلت له: إمضِ وجئني بطبيب على عَجَل، فمضى وجاءني بطبيب ومعه رجل آخر. فقلت له: هذا الطبيب أعرفه، فمن هذا الآخر؟ قال: جئتك بطبيب ينظر إليك. فإن كان شفاؤك مرجوّاً وإلاّ حفر هذا قَبْرَك..

*****

● أراد الخليفة الواثق تأديب بعض أولاده على يد كاتب كبير، فَذُكِرَ له الجاحظ، فلما رآه استبشع منظره وأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه.

فقال الجاحظ: جزى الله دمامتي كل خير، فقد نلت بها من المال ما لا يناله أرباب الجمال.

*****

● يحدث (مارك توين) عن حادث جرى له في طفولته فيقول:

نشأتُ نشأة فقيرة، وكنت في حداثتي ضعيف الجسم، نحيل البنية، وكان المعلم في الصف يشدّد على النظافة ويفرض على من يندلق الحبر من دواته إحدى عقوبتين: الضرب، أو دفع دولار. فكنت أحرص على أن أمسك المحبرة بحذر شديد: فأنا لا أحتمل الضربات الموجعة، كما أن والدي لا يطيق دفع الدولار لضآلة موارده، وحدث ما لم يكن بالحسبان واندلق الحبر من دواتي على الطاولة، فحدَّق المعلم في وجهي فأشرت برأسي أني أعرف ما يترتّب عليّ. وفي المساء أخبرت والدي بما جرى، فرقّ لحالي وأعطاني دولاراً أتفادى به الضرب. وفي اليوم التالي أمسكت بالدولار فسال له لعابي، وآثرت الاحتفاظ به، فما كان من المعلم إلاّ أن أهوى عليّ ضرباً بعصاه الغليظة. وكان هذا أول دولار حصَّلته بعرق جبيني!!.

*****

● عندما تسلم (كليمنصو) منصب وزارة الداخلية في فرنسا لاحظ قلة الدوام في مكاتب الوزارة فأمر بتعميم البلاغ التالي:

(يرجى من السادة موظفي وزارة الداخلية ألاّ يغادروا مكاتبهم قبل أن يصلوا إليها)!!.

*****

● توعَّكَتْ صحة الأديب عبدالرحمن الرافعي فعاده الشاعر حافظ إبراهيم، وإذ شكا الرافعي من إمساك شديد يلازمه قال له حافظ:

أخذتِ مسهل؟

فأجاب: أيوه. أخذت ملح إنكليزي.

قال: وخرجت عليه؟

فأجاب: لأ، مع الأسف.

فقال له حافظ: هُمَّ الإنكليز يدخلوا حتِّه ويخرجوا منها بسهولة؟

*****

• كان أحد الملاكمين ينهال بضربات جبارة على خصمه فأسال له الدم من عينيه ولم يعد يتبيّن المسكين طريقه على الحلبة، فصار يوجّه لخصمه ضربات عشوائية دون أن يصيبه. ثم ما لبث أن مال إلى مدرّبه وسأله: تُرى هل لي حظ في التغلب على خصمي؟ فقال له المدرب في غضب: بكل تأكيد. وما عليك إلاّ أن تتابع ضرباتك بشدة وتثير الهواء حول خصمك، فيصاب حتماً بذات الرئة...

*****

• عن عبدالرحمن بن عبدالله الزهري قال: صلى أشعب إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة، فأفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، فأوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح. فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له: الدِّية.

فقال: ماذا؟!

فقال: دية الريح التي أفلتت منك وحملتها عنك، والله لأشهرنَّك، فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً.

*****

● مر رجل بقوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه، فقال لأحد الضاربين: ما حال هذ الرجل؟ قال: والله ما أدري حاله، ولكني رأيتهم يضربونه، فضربته معهم، طلباً للثواب من الله عز وجل.

*****

● كتب المنصور إلى زياد بن عبدالله الحارثي أن يُقسم مالاً بين القواعد والعميان والأيتام، فدخل عليه أبو زياد التميمي، فقال: أصلحك الله، أكتبني في القواعد. فقال له: عافاك الله، القواعد هن النساء اللاتي قعدن عن أزواجهن، فقال: اكتبني في العميان، قال: اكتبوه فيهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ قال أبو زياد: واكتب ابنى في الأيتام. قال: نعم، من كنت أباه فهو يتيم.

*****

● قال أحدهم كان لي عمٌّ من الظرفاء، ولما كنت لا أزال على مقاعد الدراسة الابتدائية، كنت أكتب إليه طالباً أن يسعفني بمبلغ ١٠٠ فرنك. فكان يبعث إليّ بـ ١٠ فرنكات مع كلمة تأنيب يقول فيها: أرى أنك لاتزال ضعيفاً في الحساب، فأنت تكتب عدد ١٠ بصفرين.

*****

● كان أحدهم يداعب زوجته فأغمض إحدى عينيها ووضع فوقها ديناراً. وطمعت الحبيبة بدينار آخر فأغمضت الثانية وقالت: لا تنسَ يا حبيبي أن الحب أعمى وليس أعور...

*****

● روى أحدهم أنه رأى قبراً بالشام يحمل هذه العبارة: «لا يَغْتَرَّنَّ أحد بالدنيا، فأنا ابن من كان يُطْلق الريح إذا شاء ويحبسها إذا شاء».

وإذا بقربه قبر آخر كتب عليه: «لاتصدقوا هذا الكذاب، ولا تظنوا أنه ابن النبي سليمان، إنما هو ابن حداد كان يجمع الريح في الكور ثم ينفخ بها الجمر»..

قال: فما رأيت قبلهما قبرين يتشاتمان.

*****

● وقالوا: كان في أبي علي الأزدي مع فضيلته غفلة وصورة بلهٍ حتى قالوا: كان إلى جانب نهر وبيده كرّاس فوقع في الماء فاغترفه بكراس آخر.

*****

● وقيل: عرض اثنان على أبي الحسن النيسابوري شعراً لهما فسمع للأول ثم قال: أنت أردأ شعراً منه.

قال: كيف تقول هذا ولم تسمع قول الآخر؟

قال: لأن هذا لا يكون أردأ منه.

*****

● قال السمعاني: سمعت عبدالخالق بن زياد يقول: أمر بعض الأمراء أن يضرب عطاء الفقاعي في محنة الشهيد عبدالهادي بن شيخ الإسلام مئة فبطح على وجهه فكان يُضرب إلى أن ضُرب ستين فشكوا كم ضرب خمسين أم ستين؟ فقال عطاء: خذوا بالأقل احتياطاً، وحبس مع نساء وكان في الموضع أترسة فقام بجهدٍ من الضرب، وأقام الأترسة بينه وبينهن وقال: نهى رسول اللهﷺ عن الخلوة بالأجنبية.

*****

● قال هشام بن يحيى الغساني كنت عند سعيد بن عبدالعزيز، وكان عنده عبدة بن رياح صاحب الشرطة، فأتته امرأة فقالت: ابني يعقني، فبعث معها أعواناً فقالوا: إن أخذ ابنك قتله قالت: كذا؟ قالوا: نعم، فمرت فرأت شمّاساً فقالت: هذا ابني فأتوه به فقال: تعق أمك؟ قال: ما هي أمي، قال: وتجحدها؟ اضربوه ثم أركبها على عُنقه، ونودي عليه: هذا جزاء من يَعُقُّ أمه. فرآه صاحبٌ له فقال: ما هذا؟ قال: مَنْ لم يكن له أمٌّ فليذهب إلى عبدةَ يجعلْ له أمّاً.

*****

● قيل: جاء رجل إلى ابن الأغلب صاحب المغرب فقال: قد عشقت جارية، وثمنها خمسون ديناراً، وما معي إلا ثلاثون، فوهبه مائة دينار فسمع به آخر، فجاء، وقال: إني عاشق، قال: فما تجد؟ قال: لهيباً، قال: اغمسوه في الماء، فغمسوه مرات، وهو يصيح: ذهب العشق، فضحك وأمر له بثلاثين ديناراً.

*****

● آجر سفيان الثوري نفسه من جمّالٍ إلى مكة، فأمروه يعمل لهم خُبزة فلم تجئ جيدة، فضربه الجمَّال، فلما قدموا مكة دخل الجمّال فإذا سفيان قد اجتمع حوله الناس فسأل؟ فقالوا: هذا سفيان الثوري، فلما انفضّ عنه الناس تقدم إلى الجمّال وقال: لم نَعْرِفك يا أبا عبدالله، قال: من يُفسدّ طعام الناس يصيبه أكثر من ذلك.

*****

● قيل لوازع اليشكري: قم فاصعد المنبر وتكلم، فلما صعد رأى وجوه الناس نحوه، فقال: لولا أن امرأتي حملتني على إتيان الجمعة اليوم ما أتيت، وأنا أشهدكم أنها طالق ثلاثاً.

*****

● دخل شاب على المنصور فسأله عن وفاة أبيه فقال: مات، رحمه الله، يوم كذا وكذا، وكان مرضُهُ، رضي الله عنه، كذا وكذا، وترك عفا الله عنه، من المال كذا وكذا، فانتهره الربيع وقال: أبينَ يَدي أمير المؤمنين تُوالي الدعاء لأبيك! فقال الشاب: لا ألومُك! إنّك لم تعرف حلاوة الآباء! فما عُلم أنّ المنصور ضحك مثل ضَحِكه يومئذ. (وكان الربيع لقيطاً).

*****

● حُكي أنه وُصف عند الحجاج رجل بالجهل، وكانت إليه حاجة، فقال في نفسه: لأختبرنه. ثم قال حين دخل عليه: أعصاميٌّ أنت أم عظاميّ؟ فقال الرجل: أنا عصاميّ وعظاميّ. فقال الحجّاج: هذا أفضل الناس،

تضيء بالدم أشراقاً عراصهم

فكل أيامهم أيام تشريق

ومن ظريف ما قال:

كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ

ـت حفاظاً وأرفض الآدابا

وبها صارت الكلاب ترجيني

وبالشعر كنت أرجو الكلابا

*****

• قال بعض الظرفاء: أنشد ابن الرقاع عبدالملك قصيدة وذكر فيها الخمر فأجاد وصفها، فقال عبدالملك: لقد ارتبت بك في إجادة وصفك الشراب! فقال: وأنا ارتبت بك يا أمير المؤمنين لمعرفتك بجودته.

*****

• هذا الشاعر لم يجد ما يتغزل به أفضل من كرشه، فقد سمع قصيدة الشريف الرضي «يا ظبية البان» فعارضه بهذه القصيدة في حبيبته التي كانت كبيرة الحجم، ثم براها الحب وعاشت ريجيماً قاسياً حتى كادت تختفي.

يا ظبية البان ترعى في خمائله

ليهنك اليوم أنَّ الرزَّ مرعاك

كم من موائد أكل لست أبلغها

لولا الرقيب لقد بلغتها فاك

يا حبذا لقمة مرت بفيك لنا

أو خبزة غرزت فيها ثناياك

أما العصيد الذي في جوفه مرق

فذاك عند احتدام الأمر مأواك

كم نعجة قد طواها الحب يا أملي

وماعز وخروف في زواياك

قتلاك في الأرض آلاف مؤلفة

وسوف يجتمع المشكوُّ والشاكي

مضى بك العمر ما أحييت من كمد

قتلى هواك وما فاديت أسراك

أنت النعيم لقلبي والعذاب له

فما أمرَّك في قلبي وأحلاك

قضيت معظم وقتي في محبتكم

ما بين أكل وإسهال وإمساك

ما غرك الحرب في الشيشان من ترف

وما ادخرت رصيداً عند شيراك

نعيش نقتنص اللذات في دأب

والهم واليأس لاجاني ولا جاك

يا قـــــرة الـعين يـا أنسـي ويـا أمـلـي
وكـــيـف تحـــملني رجـــلاي لـولاك
أوشكت مـسـَّـاً لـوجـه الأرض مـن تـرف
لـكـن أدنـاك مــــريـوطـاً بـأعـــلاك
كم لـيلـة في رضـا عـيـنيك نـسـهـرها
في البـيك والمعطم الـصـيني وكنـتـاكي
إذا اشـتكى عـاشق هجـر الحـبـيب له
فـلـست أعــــرف هـجـــرانـاً لـريـَّاك
عـشتِ مـعـي في نعـيم الوصل هـانئـة
ولا تـبـــيـــتـين إلا فــــوق أوراكي

*****

● قال شريك: سمعت الأعمش يقول: إذا كان عن يسارك ثقيل، وأنت في الصلاة فتسليمة على اليمين تجزئك.

*****

● قال أبو العيناء: كان وقوفي في الصف وراء الإمام، فذكرالإمام شيئاً، فقطع الصلاة وقدم المدني ليؤمهم، فوقف طويلاً، فلما أعيا الناس سبحوا (لله) له، وهو لا يتحرك. فنحّوه وقدموا غيره وعاتبوه.

فقال: ظننته يقول لي: احفظ مكاني حتى أجيء!

*****

● اجتاز أبو الغصن باب الجامع، فقال: لمن هذا القصر؟ قالوا: هذا مسجد الجامع. فقال: رحمه الله، ما أحسن مسجده الذي بناه.

*****

● اخرج راع أحمق غنماً، وعاد مع الليل، والعصا على عنقه من دون غنم. فقيل له: وأين الغنم؟ قال: لا إله إلا الله، وأنا أقول: أي شيء نسيت في الجبل؟.

*****

● قال الجاحظ: خرجنا مرة إلى حرب، ومعنا معلم كان يقول: إني أتمنى أن أرى الحرب، فأخرجناه معنا، فأول سهم وقع في رأسه. فلما انصرفنا، دعونا له معالجاً، فنظر إليه فقال: إن خرج الزج وفي رأسه شيء من دماغه مات، وإن لم يخرج من دماغه شيء، لم يكن عليه بأس، فسبق إليه المعلم، وقبَّل رأسه وقال له: بشَّرك الله بكل خير انزعه، فما في رأسي من دماغ. قال المعالج: ولم؟. قال: لأني معلم، وما في رؤوس المعلمين ذرة من دماغ، ولو كان في رأسي ذرة من دماغ ما كنت ها هنا.

*****

● وقف بأبي العيناء - وكان ضريراً - رجل من العامة فأحسَّ به. فقال: من هذا؟.

قال: رجل من بني آدم.

قال: مرحباً بك، أطال الله بقاءك، وبقيت في الدنيا، ما أظن هذا النسل إلا قد انقطع!!!.

*****

● أتى قوم إلى رجل وقالوا: نحب أن تسلف فلانًا ألف درهم، وتؤخره سنة.

فقال: هذه حاجتان، ولكني سأقضي لكم إحداها، أما الألف فلا يسهل عليَّ، ولكن أؤخره إلى ما شاء الله.

*****

● تزوج رجل أعمى أمرأة قبيحة، فقالت له يوماً: رزقت أحسن الناس وأنت لا تدري!

فقال: يا حمقاء، فأين كان البصراء عنك؟!

*****

● رمى المتوكل عصفوراً بالبندق فلم يصبه، فقال له نديمه:

أحسنت يا سيدي.

فقال: هو ذا تهزأ بي، كيف أحسنت؟

قال: إلى العصفور!!!

*****

● قالت أمرأة جميلة لزوجها وكان دميماً: إني لأرجو أن نكون جميعاً في الجنة.

فقال: ولم؟

قالت: لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وأعطيت أنا مثلك فصبرت، فالصابر والشاكر في الجنة.

*****

● كتب المتوكل في حمل الجماز إليه من البصرة. فلما أدخل عليه أفحم. فقال له المتوكل: تكلم فإني أحب أن أستبرئك.

فقال: بحيضة أم حيضتين يا أمير المؤمنين.

فضحك المتوكل.

ثم قال له الفتح بن خاقان: قد ولاك أمير المؤمنين على الكلاب والقردة.

فقال: فاسمع لي وأطع، فإنك من خاصة رعيتي.

فأفحمه وضحك المتوكل وأمر له بعطية.

*****

● مرض رجل فجاء أبو العبر يعوده وقد ثقل، فصاحت أمرأته: مَن لي بعدك يا سيدي؟

فغمزها أبو العبر وأومأ إليها: أنا لك بعده، فلما مات الرجل وانقضت عدتها تزوجها أبو العبر، فأقامت عنده حيناً، ثم حضرت أبا العبر الوفاة، فجاء عواده؟ فصاحت: من لي بعدك يا سيدي؟

ففتح عينيه، وقال: لا يغمزها إلا من تكون أمه [..؟!].

*****

● دخل ابن الجصاص على ابن له وقد احتضر، فبكى عند رأسه، وقال: كفاك الله يا بني الليلة مؤنة هاروت وماروت!!

قالوا: وما هاروت وماروت؟!!

قال: لعن الله النسيان!، إنما أردت يأجوج ومأجوج!!.

قالوا: فما يأجوج ومأجوج؟!

قال: فطالوت وجالوت!!

قالوا: فلعلك أردت منكراً ونكيراً؟!

قال : والله ما أردت إلا غيرهما. *«يريد ما أردت غيرهما»!!*

*****

● غفل عن ابن الجصاص أهله يوماً، فسمعوا صياحه، فأتوه، فوجدوه في حجرته كالميت. فقالوا: مالك؟

قال: فكَّرت في كثرة أموالي، وشدة مُصادرة السلطان للتجار في هذا الوقت، وتعذيبه لهم بالتعليق، فعلقت نفسي ونظرت كيف صبري، فاختنقت فلم أتخلص حتى كدت أموت.

*****

● حكي أن أحمقين اصطحبا في طريق فقال أحدهما للآخر: تعالَ نتمنَّ على الله فإن الطريق تقطع بالحديث.

فقال أحدهما: أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها.

وقال الآخر: أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيئاً!

قال: ويحك!! أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة.. فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالأطواق.. ثم تراضيا على أنَّ أول من يطلع عليهما يكون حكماً بينهما، فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب وقال: صبَّ الله دمي مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين!!

*****

• قال يهودي لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم إلا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم؟!

فقال علي ـ رضي الله عنه ـ: ولمَ أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم ﴿يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾؟!! فأفحمه.

*****

• وجد الحجاج على منبره مكتوباً: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾. فكتب تحته ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾!!

*****

• يروى عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: أيها الناس؛ إن الله تعالى حبا قريشاً بثلاث فقال لنبيه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ ونحن عشيرته الأقربون، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾؛ ونحن قومه، وقال: ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ﴾. ونحن قريش.

فأجابه رجل من الأنصار فقال: على رسلك يا معاوية؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾. وأنتم قومه!! وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ وأنتم قومه!! وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ وأنتم قومه!! ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك.

*****

• قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ لرجل من اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملّكوا عليهم أمرأة!! فقال: أجهل من قومي قومُك؛ قالوا حينما دعاهم رسول الله ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ولم يقولوا: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه».

*****

• خرج أبو دلامة مع المهدي في مصادٍ لهم، فعنَّ لهم ظبي فرماه المهدي فأصابه، ورمى علي بن سليمان، فأخطأ وأصاب الكلب. فضحك المهدي، وقال لأبي دلامة: قل. فقال:

قد رمى المهدي ظبياً
شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليما
ن رأى كلباً فصاده

فــــهـنـيــــئـــــاً لـهـــــمــــا، كل

امــــــــــــــــرئ يــأكــل زاده

*****

● كان هبنقة يحسن إلى السمان من إبله، ويسيء إلى المهازيل، فقيل له في ذلك. فقال: أكرم من أكرم الله، وأهين من أهان الله.

*****

● سرق رجل حماراً، وذهب ليبيعه في السوق، فسُرق منه. فلما عاد قيل: بكم بعت حمارك؟ فقال: برأس المال.

يريد أنه باعه بلا شيء، أي أنه سرق منه.

*****

● حدَّث أبو دلامة قال: أُتي بي إلى المنصور وأنا سكران، فحلف ليخرجنِّي في بعث حرب، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلبي لقتال الخوارج، فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما والله لو أن تحتي فرسك ومعي سلاحك، لأثّرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه. فضحك وقال: والله العظيم لأدفعن ذلك إليك، ولآخذنّك بالوفاء بشرطك. ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلي.. وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة، فقال: اخرج إليه يا أبا دلامة. فقلت: أنشدك الله أيها الأمير في دمي. قال: والله لتخرجنّ. فقلت: أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع، ما شبعت مني جارحة من الجوع، فمر لي بشيء

آكله ثم أخرج. فأمر لي برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت من الصف. فلما رآني الخارجي، أقبل نحوي، عليه فرو، وقد أصابه المطر فابتلَّ، وأصابته الشمس، فاقفعلَّ، وعيناه تقدحان فأسرع إلي. فقلت له: على رسلك يا هذا كما أنت، فوقف. فقلت: أتقتل من لا يقاتلك؟ قال لا. قلت: أتقتل رجلاً على دينك؟ قال: لا. قلت: أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقاتله إلى دينك؟ قال: لا، فاذهب عني، قلت: لا أفعل أو تسمع مني. قال: قل. قلت: هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة، أو تعرفني بحال تحفظك علي، أو تعلم بين أهلي وأهلك وتراً؟ قال: لا والله. قلت: ولا أنا. والله لا أرى لك إلا جميل الرأي، وإني لأهواك، وأنتحل مذهبك، وأدين بدينك، وأريد السوء لمن أراده لك. قال: يا هذا جزاك الله خيراً فانصرف.

قلت: إن معي زاداً أحب أن آكله معك، وأحب مؤاكلتك، لتتوكد المودة بيننا، ويرى أهل العسكر هوانهم علينا. قال: فافعل. فتقدمت إليه، حتى اختلفت أعناق دوابنا، وجمعنا أرجلنا على معارفها، والناس قد غلبوا ضحكاً.

*****

● نزل رجل عند قوم وأطال الضيافة، فكرهوا إقامته، فقال الزوج لزوجته: كيف لنا أن نعلم مقدار إقامته؟ قالت: نتشاجر غداً ونتحاكم إليه للعلم متى يرحل. فتشاجرا، وقالت الزوجة للضيف: أستحلفك بالله الذي بارك لك في سفرك غداً أيُّنا أظلم؟ فقال الضيف: والله الذي يبارك لي في إقامتي عندكما شهراً، ما أعلم أيّكما أظلم؟!!

*****

● نظر رجل من الطفيليين إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل، فرأى لهم هيئة حسنة، وثياباً نفيسة، فظنّهم يُدعون إلى وليمةٍ، فتلطَّف حتّى دخل في لفيفهم وصار واحداً منهم. فلما بلغ صاحب الشرطة قال: أصلحك الله، لستُ والله منهم، وإنما أنا طُفيلي ظننتهم يُدعون إلى صنيع فدخلتُ في جملتهم! فقال: ليس هذا مما يُنجيكَ مني، اضربوا عنقه! فقال: أصلحك الله، إن كنت ولا بدّ فاعلاً، فأمر السيّاف أن يضرب بطني بالسيف، فإنَّه هو الذي ورّطني هذه الورطة! فضحك صاحب الشرطة وكشف عنه، فأخبروه أنّه طفيلي معروف. فخلَّى سبيله.

*****

● جاء رجل إلى وجيه من وجوه بلده فقال: أنا جارك، وقد مات أخي، فمر لي بكفن. قال: لا والله! ما عندي اليوم شيء، ولكن عد إلينا بعد أيام فسيكون ما تجد! قال:

أصلحك الله!.. فهل نملّح الميت، إلى أن يتيسر عندك شيء؟!.

*****

● يقول الدكتور ناصر الزهراني:

أتاني بالنَّصائح بعضُ ناسٍ ... وقالوا أنت مِقدامٌ سِياسي

أترضى أن تعيش وأنت شهمٌ ... مع امرأةٍ تُقاسي ما تقاسي

إذا حاضت فأنت تحيض مَعْها ... وإنْ نفست فأنت أخو النفاس

وتقضي الأربعين بشرٍّ حالٍ ... كَداب رأسُه هُشِمتْ بِفاس

وإن غَضِبتْ عليك تنام فرداً ... ومحرومًا وتمعن في التناسي

تَزَوَّجْ باثنتين ولا تبالي ... فنحن أولوا التجارب والمِراسِ
فقلت لهم معاذ الله إني ... أخاف من اعتلالي وارتكاسي
فها أنذا بدأت تروق حالي ... ويورق عودُها بعد اليباس
فلن أرضى بمشغلةٍ وهمٍّ ... وأنكادٍ يكون بها انغماسي
ليَ امرأةٌ وشاب الرأس منها ... فكيف أزيد حظي بانتكاسي
فصاحوا سنّة المختار تنسى ... وتُمحىْ أين أربابُ الحماسي ؟
فقلتُ أضَعْتُم سُنَنًا عظامًا ... وبعض الواجبات بلا احتراس
لماذا سنَّةُ التعداد كنتم ... لها تسعون في عزمٍ وباس
وشرع الله في قلبي وروحي ... وسنة سيدي منها اقتباسي
إذا اضطرَّ الفتى لزواج أخرى ... فذاك له بلا أدنى التباسي
ولكنَّ الزَّواج له شروطٌ ... وَعَدْلُ الزوج مَشْروطٌ أساسي
وإن مُعَاشر النسوان بحرٌ ... عظيم الموج ليس له مَرَاسي
ويكفي ما حملتُ من المعاصي ... وآثامٍ تنوء بها الرواسي
فقالوا أنت خَوَّافٌ جبانٌ ... فَشَبُّوا النار في قلبي وراسي
فخضت غمار تجربةٍ ضَروسٍ ... بها كان افتتاني وابتئاسي
يحز لهيبها في القلب حزّاً ... أشد عليَّ من حزٍّ المواسي
رأيت عجائبًا ورأيت أمرًا ... غريبًا في الوجود بلا قياس
وقلتُ أظنُّني عاشرتُ جنّاً ... وأحسب أنَّني بين الأناسي
لأتفه تافهٍ وأقلِّ أمرٍ ... تبادر حربُهن بالانبجاس
وكم كنتُ الضحية في مرارٍ ... وأجزم بانعدامي وانطماسي
فإحداهن شَدَّتْ شعر رأسي ... وأخراهن تسحب من أساسي
وإن عثر اللسان بذكر هذي ... لهذي شبَّ مثل الالتماس

وتبصرني إذا ما احتجت أمراً ... من الأخرى يكون بالاختلاس
وكم من ليلةٍ أمسي حزينًا ... أنام على السطوح بلا لباسي
وكنتُ أنام مُحترمًا عزيزًا ... فصرتُ أنام ما بين البساسي
أُرَضِّعُ نامس الجيران دَمِّي ... وأسقي كلَّ برغوث بكاسي
وَيَوم أدَّعِي أنِّي مريضٌ ... مصابٌ بالزكام وبالعطاس
وإن لم تنفع الأعذار شيئًا ... لجأت إلى التثاؤب والنعاس
وإن فَرَّطْتُ في التحضير يومًا ... عن الوقت المحدد يا تعاسي
وإنْ لم أرضِ إحداهنَّ ليلاً ... فيا ويلي ويا سود المآسي
يطير النوم من عيني وأصحو ... لقعقعة النوافذ والكراسي
يجيء الأكل لا ملحٌ عليه ... ولا أُسقى ولا يُكوى لباسي
وإن غلط العيال تعيث حذفًا ... بأحذية تمرّ بقرب راسي
وتصرخ ما اشتريت لي احتياجي ... وذا الفستان ليس على مقاسي
ولو أني أبوحُ بربع حرفٍ ... سأحذف بالقدور وبالتباسي
تراني مثل إنسانٍ جبانٍ ... رأى أسداً يهمُّ بالافتراس
وإن أشْرِي لإحداهن فِجلاً ... بكت هاتيك يا باغي وقاسي
رأيتك حاملاً كيسًا عظيمًا ... فماذا فيه من ذهبٍ وماس
تقول تُحبُّني وأرى الهدايا ... لغيري تشتريها والمكاسي
وأحلفُ صادقًا فتقول أنتم ... رجالٌ خادعون وشرُّ ناس
فصرت لحالة تدمي وتبكي ... قلوب المخلصين لما أقاسي
وحار الناس في أمري لأني ... إذا سألوا عن اسمي قلت ناسي
وضاع النحو والإعراب مني ... وَلَخْبَطْتُ الرباعي بالخماسي
وَطَلَّقْتُ البيان مع المعاني ... وَضَيَّعْتُ الطباق مع الجناسِ

أروح لأشتري كتبًا فأنسى — وأشري الزيت أو سلك النحاسِ
أسير أدورُ من حيٍّ لحي — كأنِّي بعض أصحاب التكاسي
ولا أدري عن الأيام شيئًا — ولا كيف انتهى العام الدراسي
فيومٌ في مخاصمة ويومٌ — نداوي ما اجترحنا أو نواسي
وما نَفَعَتْ سياسة بوش يومًا — ولا ما كان من هيلاسي لاسي
ومن حلم ابن قيس أخذتُ حلمي — ومكراً من جحا وأبي نواس
فلما أن عجزت وضاق صدري — وباءت أمنياتي بالإياسي
دعوتُ بعيشة العزّاب أحلى — من الأنكاد في ظلٍّ المآسي
وجاء النّاصحون إليّ أخرى — وقالوا: نحن أرباب المراسي
وكيف نراك مهموماً حزيناً — وقد جئنا بحلٍّ دوبلوماسي
تَزَوَّج حرمةً أخرى لِتحْيا — سعيداً سالمًا من كل باسِ
فصحت بهم لَئِنْ لم تَتْركوني — لأنفلتنَّ ضربًا بالمداس

*****

● خطب أحد الولاة يوماً فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾. فعلام تلومونني إذا قصرت في عطاياكم؟! فقال له الأحنف: وإنا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه.

*****

● تنبأ رجل في زمن المنصور فقال له المنصور: أنت نبي سفلة، فقال: جعلت فداك كل نبي يبعث إلى قومه.

*****

● حكي أن الحجاج خرج يومًا متنزهًا فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه، وانفرد بنفسه فإذا هو بشيخ من بني عجل فقال له: من أين أيها الشيخ؟

قال: من هذه القرية.

قال: كيف ترون عمالكم؟

قال: شر عمال؛ يظلمون الناس ويستحلون أموالهم.

قال: فكيف قولك في الحجاج؟!

قال: ذاك ما ولي العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله.

قال: أتعرف من أنا؟ قال: لا.

قال: أنا الحجاج.

قال: جعلت فداك أو تعرف من أنا؟

قال: لا.

قال: أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل، أُصرع في كل يوم مرتين فضحك الحجاج منه وخلى سبيله.

*****

● دخلت أمرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت: يا أمير المؤمنين؛ أقر الله عينك، وفرحك بما آتاك، وأتمَّ سعدك، لقد حكمت فقسطت!!.

فقال لها: من تكونين أيتها المرأة؟

فقالت: من آل برمك، ممن قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم.

فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله، ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردود إليك.

ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال: أتدرون ما قالت المرأة؟!

فقالوا: ما نراها قالت إلا خيراً!!

قال: ما أظنكم فهمتم ذلك: أما قولها: «أقر الله عينك» فتعني أسكنها عن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت. وأما قولها: «وفرحك بما آتاك» فأخذته من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ وأما قولها: «وأتم الله سعدك» فأخذته من قول الشاعر:

إذا تمَّ أمر بدا نقصه ترقب زوالاً إذا قيل تم

وأما قولها: «لقد حكمت فقسطت» فأخذته من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

فتعجبوا من ذلك.

*****

• عرض على أحد الخلفاء جارية فقال لها: بكر أنت أم أيش؟

فقالت: بل أم أيش أيها الخليفة!

*****

● أُتي الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لأصحابه:

ما تقولون فيها؟

قالوا: عاجلها بالقتل أيها الأمير.

فضحكت!!.

فقال: أو في مثل هذه الحال؟!.

فقالت: لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك يا حجاج.

قال: ومن هو صاحبي؟!.

قالت: فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾.

*****

● من لطائف المنقول عن المغفلين من الشعراء أن بعضهم دخل مسجد الكوفة يوم الجمعة وقد نُمي خبر المهدي أنه مات، وهم يتوقعون قراءة الكتاب عليهم بذلك، فقال رافعاً صوته:

مات الخليفة أيها الثقلان

فقالوا: هذا أشعر الناس، فإنه نعى الخليفة إلى الإنس والجنّ في نصف بيت. ومدّت الناس أبصارهم وأسماعهم إليه، فقال:

فكأنني أفطرت في رمضان!!

قال: فضحك الناس، وصار شهرة في الحمق.

*****

● ومثله أن سيف الدولة بن حمدان انصرف من حرب وقد نُصر على عدوه، فدخل عليه الشعراء، فأنشدوه، فدخل معهم رجل شامي فأنشده:

**وكانوا كفأر وسوسوا تحت حائط	وكنت كسنور عليهم تسلقا**

فأمر بإخراجه، فقام على الباب يبكي، فأخبر سيف الدولة ببكائه فرقّ له وأمر بردِّه، وقال له: مالك تبكي؟ قال: قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه، أطلب منه بعض ما يقدر عليه، فلما خاب أملي بكيت، فقال له سيف الدولة: ويلك! فمن يكون له مثل هذا النثر يكون له ذلك النظم!؟ فكم كنت أمّلت؟ قال: خمسمائة درهم، فأمر له بألف، فأخذها وانصرف.

*****

● قال الرشيد لأبي يوسف وكان قاضياً:

ما تقول في الفالوذج واللوزينج. (*نوعان من الحلوى*)؟

أيهما أطيب؟

قال: يا أمير المؤمنين لا أقضي بين غائبين!

فأمر الرشيد بإحضارهما.

فجعل أبو يوسف القاضي يأكل من هذه لقمة، ومن تلك لقمة، حتى انتصف وعاؤهما!!

وعند ذلك قال: يا أمير المؤمنين ما رأيت خصمين أجدل منهما!

كلما أردت أن أحكم لأحدهما أدلى الآخر بحجته!

*****

● يروى أن رجلاً خطب إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يتيمة كان يرعاها.

فقال له: لا أرضاها لك!

قال: ولم ذاك؟

قال: لأنها تشرف، وتنظر، وهي مع ذلك بريّة!

فقال الرجل: إني لا أكره ذلك!

فقال ابن عباس: أما الآن فإني لا أرضاك لها!

*****

● قال عبدالله بن طاهر لشيخ يضحك:

يا فلان، قد اعوج شدقك!

قال: ذلك عقوبة من الله لكثرة ثنائي عليك بالباطل!

*****

● قال المتوكل لأبي العنياء:

ما أشد ما مر عليك في ذهاب بصرك؟

قال: فوت رؤيتك يا أمير المؤمنين!

فسُرَّ وأمر له بصلة لحسن منطقه!

*****

● لما دخل إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة البصرة، قال: هممت أن أؤدب من خالف أبا حنيفة في مسألة!

قال له قائل: وهل كان أبو حنيفة يؤدب من خالفه؟

قال: لا.

قيل له: فأدب نفسك، فقد خالفته!

*****

● سئل أحد البخلاء عن الفرج بعد الشدة، فقال:

أن تحلف على الضيف فيعتذر بالصوم.

*****

● ألح سائل على أعرابي أن يعطيه حاجة لوجه الله!

فقال الأعرابي:

والله ليس عندي ما أعطيه للغير؛ فالذي عندي أنا أولى الناس به، وأحق!!

فقال السائل: أين الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟!

فقال الأعرابي: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً.

*****

● حمل بعضهم قمحاً إلى «طحان» ليطحنه، فقال له: أنا مشغول.

فقال: اطحنه، وإلا دعوت عليك وعلى حمارك ورحاك!

قال: وأنت مجاب الدعوة؟!

قال: نعم.

قال: فادع الله أن يصيِّر «حنطتك» دقيقاً فهو أنفع لك وأسلم لدينك.

*****

● قال بعضهم لسعيد بن العاص:

عرضت لي إليك «حويجة»!

فقال: أطلب لها «رجيلاً»!

*****

● جيئ بأحد الأعراب لمحاسبته على جريمة ارتكبها، فكتب قصته في كتاب، ورفعه إلى الحاكم، وهو يقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ فقيل له: يا أعرابي، هذه آية من القرآن، تقال يوم القيامة.

فقال الأعرابي: يومكم هذا شر من يوم القيامة!

فقالوا متعجبين: وكيف ذلك؟

قال: إن يوم القيامة يؤتى فيه بحسناتي وسيئاتي، وأنتم اليوم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي!.

*****

● تردد ثقيل على ظريف، وأطال ترداده عليه حتى سئم منه، فقال له الثقيل: من تراه أشعر الشعراء؟

فأجابه الظريف:

هو ابن الوردي الذي يقول:

غِبْ وزُرْ غِبًّا تزد حبا فمن

أكثر الترداد أضناه المللْ

فقال الثقيل: ما أصبت الرأي، فإن النجاري أشعر منه بقوله:

إذا حققت من خل ودادا

فزره، ولا تخف منه ملالا

وكن كالشمس تطلع كل يومٍ

ولا تك في زيارته هلالا

فأجابه الظريف: إن الحريري أشعر منه بقوله:

ولا تزر من تحب في كل شهر

غير يوم ولا تزده عليه

وإن لم تصدقني فقد وهبتك الدار بما فيها؛ وخرج وهو يقول:

إذا حل الثقيل بأرض قوم

فما للساكنين سوى الرحيل!

فخجل الثقيل، وذهب ولم يعد!

*****

● سئل بهلول المجنون عن رجل مات وخلف ابناً، وبنتاً، وزوجة، ولم يترك لهم شيئاً كيف تقسم تركته بينهم؟

فقال: للابن اليُتم.

وللبنت: الثُكل.

وللزوجة: خراب البيت.

وما بقي فهو للعصبة.

*****

● تزوج أعرابي أمرأة أشرف منه حسباً ونسباً، فقال: يا هذه إنك مهزولة!

فقالت: هزالي أولجني بيتك!

*****

● لما قتل الفضل بن سهل، دخل المأمون إلى أمه يعزيها فيه وقال: يا أمّه، لا تحزني على الفضل فإني خلف لك منه.

فقالت له: وكيف لا أحزن على ولد عوضني خلفاً مثلك؟

فتعجب المأمون من جوابها وطرب.

*****

● جاءت أمرأة إلى عدي بن أرطأة تستعديه على زوجها وتشكو أنه عنين لا يأتيها!

فقال عدي: إني لأستحيي للمرأة أن تتعدى على زوجها من مثل هذا!!

فقالت: ولم لا أرغب فيما رغبت فيه أمك؛ فلعل الله أن يرزقني ابناً مثلك!!

*****

● استعمل الخليفة المنصور رجلاً على خراسان فأتته امرأة في حاجه فلم تر عنده غَناءً!

فقالت له: أتدري لمَ ولاَّك أمير المؤمنين؟

قال: لا!

قالت: لينظر، هل يستقيم أمر خراسان بلا والٍ!

*****

● كان لأحدهم زوجة دميمة وكانت تضايقه على الرغم من ذلك وتنتهز الفرص للتنغيص عليه رغم ما يعاني من الفقر!

فقالت له ذات يوم: لماذا لا تصلح الزجاج المكسور حتى لا يراني الجيران؟!

فقال لها:

لا تقلقي فإن الجيران لو شاهدوك لأصلحوه على نفقتهم!

*****

● دخل على عمر بن عبدالعزيز وفود المهنئين في مبدأ ولايته فتقدم أهل الحجاز بين يديه، فقام من بينهم «غلام» لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وأراد أن يتكلم بلسان قومه.

فقال له عمر: اجلس أنت وليقم من هو أسنُ منك!

فقال الغلام: أيدك الله يا أمير المؤمنين «المرء بأصغريه: قلبه ولسانه» فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام!

ولو أن الأمر بالسن ـ يا أمير المؤمنين ـ لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا!

*****

● حمل أبو الغصن يوماً على حماره بعض الحشائش الجافة. وقال في نفسه: فلأنظر؛ هل تشتعل أو لا تشتعل. فقرب منها ناراً، فاشتعلت، وكان الهواء شديداً، فاندلع لهيبها، وأحس الحمار بحرارتها، فاندفع يجري بأقصى سرعة. وجرى أبو الغصن خلفه، فلم يستطع أن يدركه، فصاح بأقصى ما يستطيع: إن كان فيك عقل فأسرع إلى النهر.

*****

● وقدم لابنته الصغيرة جرة ماء لتملأها، وحذرها من مغبة كسرها؛ بأنه سيصفعها إذا كسرتها، ثم صفعها بقوة فبكت، وإذ لامه أحد المارة على هذا، أجابه: «أيها الأحمق، أنا أضربها لتعلم ألم العقاب فتحذره، وأما بعد كسر الجرة فما الجدوى من صفعها».

*****

● أكل أعرابي مع أبي الأسود الدؤلي، فرأى أبو الأسود لُقَم الرجل كبيرة منكرة، وهاله ما يصنع ، فقال له: ما اسمك؟ قال: لقمان. قال أبو الأسود: صدق أهلك في تسميتك، أنت لُقَمان.

*****

● كان أبو حنيفة جالساً ويمد رجله، فدخل عليه شيخ ذو عمامة كبيرة وعليه هيئة العلم، فرفع رجله احتراماً للشيخ. فسأله الشيخ: يا أبا حنيفة متى يفطر الصائم؟

قال: عند غروب الشمس.

قال: وإن لم تغرب الشمس إلى منتصف الليل؟!

فقال أبو حنيفة: آن لأبي حنيفة أن يمد رجله.

*****

● يروى أن معاوية بن مروان بن الحكم بينما هو واقف بباب دمشق ينتظر أخاه عبدالملك على باب طحّان، وحمار الطحّان يدور بالرحى وفي عنقه جُلجُل ـ جرس ـ، فقال للطحّان: لِمَ جعلت في عنق هذا الحمار جُلجُلاً؟ فقال: ربما أدركتني نعسة أو سآمة، فإذا لم أسمع صوت الجُلجل علمت أنه قد نام، فصحت به. فقال: أرأيته إن نام وحرك رأسه، ما علمك به أنه قائم؟ فقال: ومن لحماري بمثل عقل الأمير!

*****

● قال الأصمعي: كان أبو حيَّة النميري جباناً مع حمق وبله فيه، وكان له سيف سمَّاه «المنيَّة» فدخل تحت سريره كلب، فظنَّ أنَّه لصّ، وسمعه جارٌ له وهو يقول: أيها المغتر المجترئ علينا، بئس ما اخترت لنفسك، خيرٌ قليل، وسيف صقيل، وها هو لُعاب المنيَّة الذي سمعت به، مشهورة ضربته، ولا تُخاف نبوته، اخرج بالعفو منَّا قبل أن أدخل بالعقوبة عليك، إن أدعُ

قيساً أملأ عليك الأرض خيلاً ورجالاً، سبحان الله ما أكرمها وأطنبها! وخرج الكلب. فقال أبو حيّة: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفانا حرباً!

*****

● رأى الناس أبا الغصن يوماً في السوق يعدو، فقالوا: ما شأنك؟ قال: هل مرت بكم جاريةُ رجلٍ مخضوبِ اللحية؟!.

*****

● وقف أعرابي على قوم يسألهم فقال للأول: ما اسمك؟ قال: مانع. وقال للثاني: ما اسمك؟ قال: مُحّرز. وقال للثالث: ما اسمك؟ قال: حافظ. قال: قبحكم الله، ما أظن الأقفال إلا من أسمائكم.

*****

● كان أحد الحمقى يسوق عشرة حمير. فركب واحداً منها وعدّها، فإذا هي تسعة حميرٍ، فنزل وعدها فإذا هي عشرة. فقال: أمشي وأربح حماراً خير من أركب وأخسر حماراً. فمشى إلى أن بلغ قريته حتى كاد أن يتلف!!.

*****

● دخل ابن الجصاص يوماً على ابن الفرات الوزير، فقال: يا سيدي، عندنا في الحُويرة كلاب لا يتركوننا ننام من الصياح والقتال. فقال الوزير: أحسبهم جراء. فقال: لا تظن أيها الوزير، لا تظن ذلك، ما أعنفهم وأشد بأسهم، كلُ كلب منهم مثلي ومثلك!

*****

● ويروى عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: دخلتُ البادية فاحتجتُ إلى الماء، فجاءني أعرابي ومعه قربة ملآنة، فأبى أن يبيعها إلا بخمسة دراهم، فدفعتها إليه، ثمَّ أخذت القربة، فقلت: ما رأيك يا أعرابي في السويق؟ فقال: هات. فأعطيته سويقاً ملتوتاً بزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثمَّ عطش، فقال: عليَّ بشربة. فقلت: بخمسة دراهم على قدح من ماء، فاستردتُ الخمسة وبقي الماء.

*****

● سأل حفصُ بن غياث الأعمشَ عن إسناد حديث، فأخذ بحلقه، وأسنده إلى حائط وقال: هذا إسناده.

*****

● سُرق خِرج من رجل، فقيل له: لو قرأت عليه آية الكرسي ما سُرِق، فقال: إنه كان فيه مصحف كامل.

*****

● قال أحد الشعراء معرِّضاً ـ بظرف وجمال ـ صديقين له في بغداد وكان قد أرسل لهما قصيدةً لم يحفلا بها وأهملا إجابته، وكان أحدُهما أعمى والآخر أعرجَ، فاقرأ ما يقول:

مدحتُهما في غادةٍ من قصائدي

من الخدرِ قبل اليوم لم تتبرج

فـلا حــرج إن لم يقــومــا بنصــرها

فـقــد وقــعـت مــا بين أعــمـى وأعــرج

*****

● قدم رجل من فارس على صاحب له، فسألـه صاحبـه: قد كنت عند الأمير، فأي شيء ولاّك؟ قال له: ولاّني قفاه.

*****

● ولابن الجــزار برقّــة روحــه الـشـفــافــة حين زواج أبيــه وهـو في شيخوخته:

تـزوج الـشــيـخُ (أبـي) شــيـــخــة

لـيـس لـهـــا عـــقـل ولا ذهـنُ

لـو بـرزت صـــورتـهـــا في الـدُجى

مـــا جــســرت تُبــصــرها الجنُّ

كــأنهــا في فــرشــهــا رمـــةٌ

وشــعــرها من حــولهـــا قطنُ

وقــائل لـي قـــال: مـــا سنُّهـــا

فــقـلتُ أفـي فـــمِـــهـــا سِنٌّ؟!

ومن جميل وصفياتِه ما قاله في داره الخاوية:

ودار خـــــراب بهـــا قـــد نـزلت

ولـكـن نـزلـت إلـى الـســـابـعــــة

طريق من الطرق مسلوكة

محجتُها للورى شاسعة

فلا فرق ما بين أني أكون

بها أو أكون على القارعة

تُساورها هفوات النسيم

فتُصغي بلا أذن سامعة

وأخشى بها أن أقيم الصلاة

فتسجد حيطانها الراكعة

إذا ما قرأت (إذا زلزلت)

خشيت بأن تقرأ (الواقعة)

*****

● هذه قصيدة بديعة جيدة الوصف والتصوير، قوية السبك والمضمون، نظمها الشاعر كمال الدين بن المبارك واصفاً فيها الدار التي يسكنها وما آلت إليه من حال سيئة:

دارٌ سكنتُ بهــا أقلُّ صــفــاتهــا … أن تكثـر الحـشـراتُ في جنبـاتهـا

الخـيــر عنهــا نازحٌ مــتـبــاعــدٌ … والشـرُّ دانٍ من جـمـيـع جـهـاتهـا

من بعضٍ مافيها البعوض عَدِمتُه … كم أَعـدم الأجـفـانَ طيب سناتهـا

وتبـيت تسـعـدها براغـيثٌ مـتى … غنّت لهـا رقـصت على نغـمـاتهـا

رَقْصٌ بتنغــيصٍ ، ولكنْ فــاقَــهُ … قـد قـدِّمت فـيـه على أخـواتهـا

وبهـا ذبابٌ كـالضـبـاب يسدُّ عـيـ … ـن الشـمـس مـاطربي سوى عنّاتها

أين الصـوارمُ والقنا من فـتكهـا … فـينا ؟ وأين الأسدُ من وَثَبـاتهـا ؟

وبهـا من الخطّاف مـاهو مـعـجزٌ … أبصـارنا عن حـصـر كيـفـيّـاتِهـا

تغشى العـيون بمرِّها ومجيئهـا … وتصمّ سـمـع الخلد من أصـواتهـا

وبهـا خـفـافـيشٌ تطيـر نهـارها … مع لـيلهـا لـيـست على عـاداتهـا

شَـبَّـهْـتُـهـا بقنافـذٍ مطبـوخـةٍ … تدع الطّهـاة تضج من شـوكـاتهـا

شـوكـاتها فـاقت على سمـر القنا … فـاعـجب لِشِـدّةِ فتكهـا وثبـاتهـا

فــتــرى أبا مــروان منهــا هارباً … وأبا الحـصين يـروغ عن طرقـاتهـا

وبهـا خنافسُ كالطنافسِ أفـرشت … في أرضـهـا وعلت على جنبـاتهـا

لو شمَّ أهل الحـرب مُنْتِنَ (ريحهـا) … أردى الكماة الصيـد عن صهواتها

وبنـات وردانٍ وأشكـالٌ لـهـــا … مما يفــوت العين كُنْهَ ذواتهــا

مـتـزاحـمٌ مـتـراكمٌ مـتـحـاربٌ … مـتـراكبٌ في الأرض مـثل نباتهـا

وبهـا قـرادٌ لا اندمـال لجـرحـهـا … لايفـعـل المشـراط مـثل أداتهـا

أبداً تمصُّ دمـــاءنا فكأنـهــا … حَـجّامـةٌ لبـدت على كـاسـاتهـا

وبهـا من النمل السليـمـاني مـا … قـد قلّ ذر الشـمـس عن ذرّاتهـا

لا يدخلون مساكناً بل يحطمون … جلودنا فـالعـقـر من سطواتهـا

مــا راعني شيءٌ ســوى وزغــاتهــا فنعــوذ بالـرحــمن مـن نزغــاتهــا

سَجعت على أوكـارها فظننتـهــا ورقَ الحمام سجعن في شجراتها

ولهـــا زنابيـــر تُظن عـــقـــارياً لا برءٌ للمــســمــوم من لدغــاتهــا

وبهــا عــقــاربُ كــالأقــارب رتَّعٌ فـينا حـمـانا الله لدغ حـمـاتهـا

فكأنما حـيطانهــا كـغــرائب أطلعن أروسَـهـنّ مـن طاقــاتهــا

كيف السبيل إلى النجاة ولا نجاة ولا حـــيـــاةَ لمن رأى حـــيّـــاتهــا

السم في نفـــثــاتهـــا والمكر في فلثــاتهــا ، والموت في لفــثــاتهــا

منسوجـةٌ بالعنكبوت سـمــاؤها والضيفُ لا ينفكُ من صَعَقَاتها

فَضَجِيجها كالرعد في جنباتها وترابهــا كــالرمل من خـشناتهــا

والبــوم عــاكـفــةٌ على أرجــائهــا والدود يبحث في ثرى عرصاتها

والـنار جــزء من تلهب حـــرها وجــهنم تغـري إلى نفـحــاتهــا

قـد رممت من قـبل آدم يلتـقي مع أمنا حــواء في غــرفــاتهــا

شـاهدت مكتـوباً على أرجـائهـا ورأيت مــسطوراً على عــتبــاتهــا

لا تقـربوا منهـا وخـافـوها ولا تلقـــوا بأيديكم إلى هلكاتهـــا

أبداً يقـول الداخلون ببـابهـا : ياربّ نَجّ الناس من آفـــاتهـــا

قــالوا : إذا ندب الغــراب منازلاً يتـفـرق السكان من سـاحـاتهـا

ويدارنا ألفـــا غـــرابٍ ناعقٍ كَـذَبَ الرواةُ فـأين صـدق رواتهـا

صــبـراً لعل الله يعـقب راحـة للنفس إن غلبت على شهـواتهـا

دار تبيت الجنُ تحـرس نفسـهـا فـيهـا وتندب باختـلاف لغاتهـا

كم بتُّ فيـهـا مـفـرداً والعين من شـوق الصباح تسحّ من عبـراتهـا

وأقــول يارب الســمــوات العلى يارازقـــاً للوحش في فلواتهـــا

أسكنتني بجـهنم الدنيـا فَـفي أخراي هَبْ لي الخلد في جنباتها
واجـمعْ بمن أهواه شـملي عـاجلاً ياجـامع الأرواح بعـد شـتـاتهـا

*****

● قيل لبخيل: من أشجع الناس؟

قال: من سمع وقع أضراس الناس على طعامه، ولم تنشق مرارته!!.

*****

● شوي لأبي جعفر الهاشمي دجاج ففقد فخذاً من دجاجة، فأمر فنودي في منزله:

من هذا الذي تعاطى فعقر؟ والله لا أخبز في التنور شهراً أو تُرَدّ.

فقال ابنه الأكبر:

يا أبت لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

*****

● كان أمير البلد يزعم أنه يعرف نظم الشعر، فأنشد يوماً قصيدة أمام أبي الغصن. وقال له: أليست بليغة؟ فقال أبو الغصن: ليست بها رائحة البلاغة. فغضب الأمير وأمر بحبسه في الاصطبل، فقعد محبوساً مدة شهر ثم أخرجه. وفي يوم آخر نظم الأمير قصيدة وأنشدها أبا الغصن، فقام أبو الغصن مسرعاً، فسأله الأمير: إلى أين؟ فقال: إلى الاصطبل يا سيدي.

*****

● ضاع حمار أبي الغصن فجعل يبحث عنه ويقول: الحمد لله، فسألوه: ولماذا تقول ذلك؟ فقال: أحمدُ الله لأني لم أكن راكباً الحمار وإلا لكنت ضعت معه.

*****

● ويروى أن رجلاً قال لأبي الغصن: سمعت صراخاً في داركم. فأجاب: سقط قميصي من فوق. فقال: وإذا سقط من فوق؟ فقال: يا أحمق لو كنت فيه ألم أكن قد وقعت معه؟

*****

● نظر أبو شراعة العتبي في المرآة فرأى دمامة وجهه، فقال: الحمد لله الذي لا يحمد على المكروه سواه.

*****

● قال الأصمعي: رأيت رجلاً من الأعراب، وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول:

يارب إني سائل كما ترى
مشتمل شميلتي كما ترى

وشيختي جالسة فيما ترى
والبطن مني جائع كما ترى

فما ترى يا ربنا فيما ترى؟!

*****

• للشيخ أغا رضا مراسلات ظريفة مع عددٍ من أدباء عصره ومساجلات رائعة منها: ما خاطب بها الشاعر جعفر الحلي وكان جاراً له، وقد تزوج أحد الشيوخ بعد تقدمه بالسنّ واستبطأ من أحدهم بتقديم التهاني فقال مخاطباً له:

شروط الحب نحن بها وفينا
وأنتم ما وفيتم بالشروط
صددت ولم تبارك لي بعرس
لخوفك سوء عاقبة (النقوط)

فأجابه صديقه بروح شفافه، فقال:

ألا قل للذي قد قال فينا
بأنَّا ما وفينا بالشروط
ولم يعهد لنا ذنباً إليه
سوى تأخير إرسال النقوط
نقوط الشاب إرسال الهدايا
له، والشيخ إرسال (الحنوط)
ألا فاقنط فما لك يابن ودي
نقوط عندنا غير القنوط

ولأجادته بظريف القول وعذبه أنقل بين يدي القارئ الكريم نُتفاً من شعر هذا الأديب علماً أنَّ أغلب شعر هذا الشاعر طُبِعَ بطابع النكتة المستملحة. ومن خلال هذه الروح المرحة يقول:

يا ليلة بتُّ وفي جانبي
جميلة في حسنها بارعة
وقيل لي إن اسمها (رحمة)
قلت: لهذا أصبحت واسعة!

وكتب إلى الشيخ هادي مُعاتباً ولكن بالمُبتكر من نظمه فيقول:

محبتي حسناءكم قد حوت
بديع حسن لم أطق عدَّه
زوجتها منك فطلقتها
من بعدما باشرتها مدَّه

*****

● قاضٍ وتاجر كانا ماشيين معاً في الطريق فرأيا أبا الغصن وأرادا أن يضحكا عليه، فأوقفاه وقالا له:

أخبرنا يا أبا الغصن هل غلطت مرة في الوعظ؟

فأجاب:

غلطت مرتين، الأولى قلت وأنا أعظ: «وقاضٍ في النار» بدلاً من: «وقاضيان في النار». والثانية قلت: «وإن التجار لفي جحيم» بدلاً من: «وإن الفجار».

*****

• تناقش القائد النمسوي «جالجوتزي» مع زميل له، وفي سياق الحديث، قال القائد لزميله: أنت حمار، فصدر الأمر إلى جالجوتزي بأن يعتذر علانية عما فرط منه، فلبس بذته الرسمية، وحيا الضابط المعتدى عليه بقوله: يؤسفني أنني قلت: إنك حمار! ثم لقي صاحبه في اجتماع آخر، فكرر اعتذاره، وقال:

أظن أنك أخطأت ساعة طلبت مني أن أعتذر لك أمام الجند!

فقال صاحبه: ولم؟

فقال جالجوتزي: لأن رأيي فيك قبل الإعتذار كان منحصراً بيننا، أما الآن، فإن الجيش كله بات يعرفه!!.

*****

• قيل: إنّ رجلاً استودع رجلاً مالاً ثم طلبه، فجحده، فخاصمه إلى إياس. وقال المدّعي: إني أطالبه بمال أودعته إياه، وقدره كذا وكذا. فقال له إياس: ومن حضرك؟ قال: كان ربُّ العزة حاضراً. قال: دفعته إليه في أي مكان؟ قال: في موضع كذا. قال: فأي شيء تعهده من ذلك الموضع؟ قال: شجرة عظيمة. قال: فانطلق إلى الموضع وانظر إلى الشجرة لعلّ الله يُظهر لك علامة يتبين بها حقك. فجرى الرجل مسرعاً. فقال إياس للرجل المُدّعَى عليه: اقعد حتى يرجع خصمك. فجلس، وإياس يقضي بين الناس. ونظر إليه بعد ذلك ثم قال له: يا هذا، أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكرها؟ قال: لا. فقال له: والله، يا عدو الله إنك

لخائن. فقال: أقلني أقالك الله. فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل، فقال إياس: قد أقرّ بحقك فخذه.

*****

● قال مطيع بن إياس: عبرت جسر بغداد على بغلتي، فاعترضني أعمى وحسبني من الجند، فقال: اللهم سخر الخليفة أن يعطي الجند أرزاقهم، فيشتروا من التجار الأمتعة، فتربح التجار عليهم، فتكثر أموالهم، فتجب عليهم الزكاة فيتصدقوا عليّ منها. فقلت له: يا أعمى سل الله أن يرزقك ولا تجعل بينك وبينه هذه الحوالات.

*****

● جاء أحد الثقلاء إلى الجاحظ وقال له:

سمعت أنّ لك ألف جواب مُسْكِت، فعلمني منها!

فقال الجاحظ:

نعم.

فقال الثقيل:

إذا قال لي شخص: يا زوج «الفاعلة»، يا ثقيل الروح، أيّ شيء أقول له؟

قال الجاحظ:

قل له: صَدَقتَ.

*****

● وتناول رجل من لحيته شيئاً، فسكت عنه، وكان الرجل قبيح الوجه، فقال:

ويحك، لِمَ لا تدعو لي؟

فقال:

كرهت أن أقول: صرف الله عنك السوء فتبقى بلا وجه.

*****

● كان أحدهم يبيع زيتوناً، فجاءته امرأة تشتري منه بالأجل. فقال لها: ذوقيه لتعرفيه فقالت: إني صائمة قضاء رمضان الماضي. فقال لها: قومي يا ظالمة، أنت تماطلين ربك وتطلبين مني الشراء بالأجل.

*****

● دعا الأمير دي كونديه الشاعر لافونتين لتناول العشاء عنده، فنسي الشاعر الموعد، فغضب الأمير لهذا الإهمال، الذي عده إهانة له.

وتذكر لافونتين بعد أيام أنه أخلّ بواجب اللياقة، فذهب إلى قصر الأمير للاعتذار، وعندما رآه الأمير أدار له ظهره، فاقترب منه لافونتين قائلاً:

لقد كذب الذين قالوا: إنك غاضب عليّ يا سمو الأمير.

قال الأمير: وكيف ذلك؟

قـال لافـونتين: لأنك تديـر لـي ظهـرك، ولم أعـهدك قـط تدير ظهـرك للعدو، بل تقابله بصدرك، وكان هذا كافياً لرضا الأمير.

*****

● قال شاعر من الأعراب يصور بلواه من زواجه باثنتين:

تـزوجـت اثـنـتـين لفــــرط جـــهـلي
بمـا يـشــــــقـى بـه زوج اثـنـتـين
فـقلت: أصـيـر بينهـمـا خـروفـاً
أنَعَّم بـين أكـــرم نـعـــجـــتـين
فـصـرت كنعـجـة تُضـحي وتمسي
تـداول بـين أخـــبـث ذئـبـــتـين
رضـــا هـذي يهـــيِّج ســخط هذي
فـمـا أعـرى من احـدى السـخطتين
وألـقى في المعــيـــشـــة كل شـــر
كـــفـــاك الـضـــر بين الـضـــرتين
لهــــذي ليـلـة ولـتـلـك أخـــرى
عـــقــــاب دائـم فـي الـلـيـلـتين

*****

● وقف أحد المجانين على باب مسجد فبال فأرادت العامة ضربه، فقال لهم: أرأيتم لو بال ههنا حمار أكنتم ضاربيه؟

قالوا: لا.

قال: فهبوني حماراً فإنه لا عقل لي!!.

فرقّوا إليه وأطلقوه.

*****

• قال قاسم التمار في بيان الفرق بين شيئين: بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض.

*****

• قال الشيباني:

كانت بالعراق قينة، وكان أبو نوّاس يختلف إليها فتظهر له أنها لا تحب غيره. وكان كلما جاءها وجد فتى يجلس عندها ويتحدث إليها، فقال فيها:

ومظهـــــــرة لخلـق اللـه وداً

وتلقي بالتـــحيـــة والســلام

أتيت فــــؤادها أشكو إليــــه

فلم أخلص إليــــه من الزحـــام

فـيـا من ليس يكفيـهـا خليل

ولا ألفـــا خليل كل عـــام

أراك بقـــيــة من قـــوم مـــوسى

فـهم لا يصــبــرون على طعـام

*****

● أُخذ رجل ادعى النبوة أيام المهدي، فأدخل عليه فقال له: أنت نبي؟ قال: نعم. قال: وإلى من بعثت؟ قال: أو تركتموني أذهب إلى أحد؟ ساعة بعثت وضعتموني في الحبس.

*****

● دخل بعض المغفلين على مريض يعوده، فلما خرج، التفت إلى أهله وقال: لا تفعلوا بنا كما فعلتم في فلان، مات وما أعلمتمونا، إذا مات هذا فأعلمونا حتى نصلي عليه!!.

*****

● ذهب إنكليزي ذات يوم إلى نيويورك وأقام في فندق. وقبل أن يعود إلى وطنه طلب إلى بواب الفندق أن يروي له أفضل نكتة يعرفها ليرويها بدوره لأصدقائه البريطانيين وتحوز إعجابهم. فقال له البواب مبتسماً: لا بأس، اسمع هذه: لأبي ولد ليس أخي فمن يكون؟ فأطرق الانكليزي مفكراً ولكنه عجز عن حل هذا اللغز، فقال البواب وقد رنت على شفتيه ابتسامة الظفر: إنه أنا؟ فقال الانكليزي: إنها لنكتة مدهشة. وعاد الانكليزي إلى لندن فاستقبله في محطة السكة الحديدية رهط كبير من ذويه ومعارفه، فراح يصف لهم عجائب أميركا واحدة واحدة حتى قال: ولدي نكتة مدهشة سأرويها لكم فاسمعوها: لأبي ولد ليس أخي، فمن يكون؟ فتطلع بعضهم إلى بعضهم الآخر. وأطالوا التفكير: فلما أعلنوا عجزهم عن حل اللغز، هزّ صاحبهم رأسه وقال مبتسماً: إنه بواب الفندق. فانفجر الجميع في ضحكة جنونية هي ضحكة الاستهزاء والسخرية...

*****

● كان الجاحظ يجتاز في بعض الطريق، فإذا برجل قصير، بطين، كبير الهامة، يأتزر بمئزر، وبيده مشط، فقلت في نفسي: رجل بطين قصير فاحتقرته، فقلت:

أيها الشيخ، لقد قلت فيك شعراً، فهل تسمعه؟

فترك المشط من يده وقال:

قُل.

فقلت:

كــــأنك صـــعـــــوة في أصل حُشٍّ

أصــــاب الحُشَّ طشٌّ بعــــد رشٍّ

فقال:

اسمع الجواب.

فقلت:

هات.

فقال:

وأنت كـــجندب في ذيل كـــبش

تـدلـدل هكذا والكبش يمشي

*****

● سأل سائح ـ شاء عبور بحيرة طبرية ـ صاحب الزورق: ما أجرة عبور البحيرة بزورقك؟ فأجاب: مئتا دولار. فقال السائح: إنه مبلغ مرتفع فأجاب: يمكن يا سيدي أن يكون مبلغاً مرتفعاً ولكن تذكر أنها بحيرة تاريخية وأن السيد المسيح سار سباحة على الماء ها هنا. فقال السائح: لا عجب.. فهو لما رأى أسعاركم الفاحشة فضل أن يلجأ إلى وسائله الخاصة.

*****

● كان لبعض الأدباء ابن أحمق، وكان مع ذلك كثير الكلام، فقال له أبوه ذات يوم: يا بني لو اختصرت كلامك، لكنت تأتي بالصواب. قال: نعم.

فأتاه يومًا فقال: من أين أقبلت يا بني؟ قال: من سوق... قال: لا تختصرها هنا، زد الألف واللام. قال: من سوقال.. قال: قدم الألف واللام. قال: من ألف لام سوق!!.

*****

● قال أحدهم في بخيل اسمه سعيد:

رغيف سعيد عنده عدل نفسه
يقلبه طوراً وطوراً يلاعبه
ويخرجه من كمه فيشمُّه
ويُجلسه في حجره ويخاطبه

وإن جـــاءه المسكين يطلب فـــضله

فـــقـــد ثكلتـــه أمـــه وأقـــاربه

يـكر عليـــه ســـوطه من كل جـــانب

وتـكســـــر رجـــلاه وينـتف شـــاربه

*****

● أمير الشعراء شوقي علم في العالمين العربي والإسلامي. وندُّه في الشعر والأدب الشاعر الشهير حافظ إبراهيم. لا يحتاجان للتعريف فقد شاهد أحمد شوقي مقالة للدكتور محمد حسين هيكل تحت عنوان «شوقي وحافظ» فأغضب شوقي اقتران اسمه بالشاعر حافظ لما بينهما من خصومة هي (ميراث الأدباء) على حد قول البعض، أو داء الأدباء لدى قول البعض فتمثل بقول شاعر قديم ساعة قراءته المقال إذ قال:

ألم تر أنَّ الســـيف يصـــغـــر قـــدره

إذا قـيل إن السيف خيـر من العـصـا

فبلغ حافظ غضب شوقي وما استشهد به، فقال وهو ضاحك: ما بال شوقي والغضب ألم يرد في المثل ـ بصل وعسل ـ، ثم استلم حافظ من قرينه شوقي بيتاً من الشعر تنكيلاً به يقول فيه:

وأودعت إنســـاناً وكلبـــاً وديعـــة

فضيعها الإنسان والكلب (حافظُ)

فأجابه حافظ إبراهيم على هذه السخرية؛ ولكن من موطن ضعف أمام شوقي وجبروته إذ يقول:

يقـــولون إن الشـــوق نار ولوعـــة

فـمـا بال «شوقي» أصبح اليوم بارداً؟!

*****

• قال عمر بن عبدالعزيز لعدي بن أرطأة: إن أمامك رجلين هما بكر ابن عبدالله وإياس بن معاوية.. فولّ أحدهما قضاء البصرة.

فعرض عدي عليهما معاً فامتنعا.. فقال: ما الذي يمنعك من قبول منصب القضاء؟

فقال بكر بن عبدالله: والله الذي لا إله إلا هو إني لا أحسن القضاء، وإن إياساً أولى به مني.. فألح عليه عدي بن أرطأة.. فقال بكر: إن كنت صادقاً فكيف أتولاه، وإن كنت كاذباً فكيف تولي كاذباً منصب القضاء؟!

فالتفت عدي بن أرطأة إلى إياس وقال له: أنت لها يا إياس، وقد خرجتٌ من يد بكر.

قال إياس: والله لقد أوقفتم الرجل على شفير جهنم فافتدى نفسه منكم بيمين يكفرها.

فقال عدي بن أرطأة: أما والله وقد اهتديت إلى هذا المكر فأنت أولى بالقضاء، والقضاء أولى بك وأحق.. فالحيلة لا تجوز عليك، والمكر لا يجد سبيله إليك.

*****

• قالت إحدى زوجات عالم آثار: إن العالم الأثري هو خير زوج تحظى به أية امرأة، لأنها كلما تقدمت هي في السن، ازداد شغفه واهتمامه بها.

*****

• وقف نحوي على بياع يبيع أرزاً بعسل، وبقلاً بخل. فقال: بكم الأرز بالأعسل والأخلل بالأبقل؟

فقال: بالأصفع في الأدرس والأضرط بالأذقن.

*****

• قال شمير: إن رجلاً خطب امرأة وتحته أخرى فقالوا: لا نزوجك حتى تطلق. فقال: اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً فزوجوه، فأقام على امرأته فادعى القوم الطلاق، فقال: أما تعلمون أنه كانت تحتي فلانة بنت فلان فطلقتها؟ قالوا: بلى، وكانت تحتي فلانة بنت فلان فطلقتها؟ قالوا: بلى، وكانت تحتي فلانة فطلقتها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طلقت ثلاثاً، فبلغ إلى عثمان فجعلها نيته.

*****

• سأل رجل جريراً:

مَن أشعر الناس؟

فأجاب:

قم حتى أعرّفك الجواب.

فأخذ بيده، وجاء به إلى أبيه عطيّة، وقد أخذ عنزاً له فاعتقلها، وجعل يمصّ ضرعها، فصاح به:

اخرج يا أبتِ.

فخرج شيخ دميم، رثّ الثياب، وقد سال لبن العنز على لحيته فقال:

ألا ترى هذا؟

قال:

نعم.

قال:

أتعرفة؟

قال:

لا.

قال:

هذا أبي. أفتدري لِمَ كان يشرب من ضرع العنز؟

قال:

لا.

قال:

مخافة أن يسمع صوت الحلب، فيطلب منه لبن.

ثم قال:

أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً، وقارعهم به فغلبهم جميعاً.

*****

● قال سفيان بن وكيع: سمعت سفيان بن عيينة يقول: دعانا سفيان الثوري يوماً فقدَّم إلينا تمراً ولبناً خاثراً، فلما توسطنا الأكل قال: قوموا بنا نصلي ركعتين شكراً لله، قال سفيان بن وكيع: لو كان قدم إليهم شيئاً من هذا اللوزينج المحدث لقال لهم: قوموا بنا نصلي تراويح.

*****

● جرت مناظرة بين مؤمن فقيه وملحد حائر..

الملحد: أنت مؤمن بوجود الله؟!

المؤمن: نعم، ولا شك ولا ريب.

الملحد: هل رأيته؟

المؤمن: لا.

الملحد: هل سمعته؟

المؤمن: لا.

الملحد: هل شممته أو لمسته؟

المؤمن: لا.

الملحد: فكيف تؤمن به؟!!.

المؤمن: هل رأيت عقلك؟

الملحد: لا.

المؤمن: هل شممته أو لمسته؟

الملحد: لا.

المؤمن: كيف تزعم أنك عاقل؟!!.

*****

● وعن بعض ولاة مصر أنه كان يلعب بالحَمَام، فتسابق هو وخادم له فسبقه الخادم، فبعث الأمير إلى وزيره يستعلم الحال، فكره الوزير أن يكتب إليه أنك قد سُبقت ولم يدر كيف يكني عن تلك الحال، فقال كاتب ثمَّ: إن رأيت أن تكتب:

يا أيها المولَى الذي جَدّه
لكل جَدٍ قاهر غالِبُ
طائرَكَ السابقُ لكنَّهُ
أَتى وفي خدمتِهِ حاجبُ

فاستحسن ذلك وأمر له بجائزة وكتب به.

*****

● جاء رجل إلى أبي حازم القاضي فقال: إنّ الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلقت امرأتك فيشككني، فقال له: أوَليس قد طلقتها؟ قال: لا،

قال: ألم تأتني أمس فتطلقها عندي؟ فقال: والله ما جئتك إلا اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه، قال: فاحلف للشيطان كما حلفت لي وأنت في عافية!!.

*****

● كتب بعض ملوك فارس على بابه: «**تحتاج أبواب الملوك إلى عقل ومال وصبر**»، فكتب بعض الحكماء تحته: «**من كان عنده واحدة من هذه الثلاث لم يحتج إلى أبواب الملوك**» فرفع خبره إلى الملك، فقال: صدق وأمر بإجازته ومحو الكتابة من الباب.

*****

● لقي نحوي رجلاً من أهل الأدب، وأراد أن يسأله عن أخيه، وخاف أن يلحن فقال: أخاك أخيك أخوك هنا؟ فقال الرجل: لا، لي، لو .. ما هو حاضر.

*****

● يقال كان أحد ملوك إنكلترا مولعاً بسنِّ القوانين الاستثنائية الغريبة.. ومرة سنّ قانوناً، حذر بموجبه النساء من التزين بالذهب والمجوهرات، ولكن القانون بقي غير نافذ؛ لامتناع النساء عن طاعته، فما كان منه إلا أن شفعه بملحق استثنى فيه المسنّات. ثم لم يتبق في إنكلترا امرأة واحدة تخالف القانون.

*****

● وضعت امرأة أبي الغصن المنخل على فراشه، فجاء، فلمّا رآه تعلّق بوتد كان في داره، فقالت امرأته:

ما هذا؟

قال:

وجدت المنخل في موضعي، فصرت في موضعه.

*****

● قال السلامي الشاعر: دخلت على عضد الدولة فمدحته فأجزل عطيتي من الثياب والدنانير، وبين يديه جام فرآني ألحظه فرمى به إليّ وقال: خذه، فقلت: **وكل خير عندنا من عنده**، فقال عضد الدولة: ذاك أبوك، فبقيت متحيراً لا أدري ما أراد، فجئت أستاذاً لي فشرحت له الحال، فقال: ويحك، قد أخطأت خطيئة عظيمة لأن هذه الكلمة لأبي نواس يصف كلباً، حيث يقول:

أنعت كلباً أهله في كده

قد سعدت جدودهم بجده

وكل خير عندهم من عنده

قال: فعُدتُ متشحاً بكساء ووقفت بين يدي الملك أرعد، فقال: ما لك؟ قلت: حممت الساعة، قال: هل تعرف سبب حماك؟ قلت: نظرت في شعر أبي نواس فحممت، قال: لا تخف، لا بأس عليك من هذه الحمى، وانصرفت.

*****

• قال محمد بن حسن الكاتب: جرت بين إسحاق الموصلي وعمرو بن بانة مناقشة ومنابذة.

فقال إسحاق الموصلي لعمرو بن بانة: إنه لقياس مع الفارق أن تضع نفسك في كفة وأنا في كفة.

فأجاب عمرو بن بانة: والله لقد قلت حقاً ونطقت صواباً، وإلا فكيف يقاس مثلي بمثلك وقد تعلمت الغناء تطرباً وكنت أضرب حتى لا أتعلمه، وتعلمته أنت تكسباً وكنت تضرب حتى تتعلمه.

*****

• حُكي عن الجاحظ أنه قال: ألّفت كتاباً في نوادر المعلمين، وما هم عليه من التغفل؛ ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب، ودخلت يوماً مدينة فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة، فسلمت عليه فردّ عليّ أحسن رد، ورحب بي، فجلست عنده، وباحثته في القرآن، فإذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب، فإذا هو كامل الآداب، فقلت: هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب. قال: فكنت أختلف إليه وأزوره، فجئت يوماً لزيارته، فإذا بالكُتَّاب مغلق ولم أجده، فسألت عنه فقيل: مات له ميت، فحزن عليه، وجلس في بيته للعزاء؛ فذهبت إلى بيته وطرقت الباب، فخرجت إليّ جارية وقالت: ما تريد؟

فقلت: سيدك.

فدخلت وخرجت وقالت: باسم الله.

فدخلت إليه وإذا به جالس، فقلت: عظم الله أجرك. لقد كان لكم في رسولﷺ أسوة حسنة، وكل نفس ذائقة الموت، فعليك بالصبر، ثم قلت له:

هذا الذي توفى ولدك؟

قال: لا.

قلت: فوالدك؟

قال: لا.

قلت: فأخوك؟

قال: لا.

قلت: فزوجتك؟

قال: لا.

فقلت: وما هو منك؟

قال: حبيبتي.

فقلت في نفسي: هذا أول المناحس.

فقلت: سبحان الله، النساء كثير، وستجد غيرها.

فقال: أتظن أني رأيتها؟

قلت: وهذه منحسة ثانية.

ثم قلت: وكيف عشقت من لم تر؟

فقال: اعلم أني كنت جالساً في هذا المكان، وأنا أنظر من الطاق، إذ رأيت رجلاً عليه برد وهو يقول:

يا أم عـــمـــرو جـــزاك الله مكرمـــة

ردي عليّ فـــؤادي أينمـــا كـــانا

لا تأخـــذين فـــؤادي تلعـــبين به

فكيف يلعب بالإنســـان إنســـانا

فقلت في نفسي: لولا أن أمّ عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها، ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها. فلما كان منذ يومين، مرّ ذلك الرجل بعينه وهو يقول:

لقـــد ذهب الحـــمـــار بأم عـــمـــرو

فـــلا رجـــعت ولا رجع الحـــمـــار

فعلمت أنها ماتت، فحزنت وأغلقت الكُتَّاب وجلست في الدار.

فقلت: يا هذا إني كنت ألفت كتاباً في نوادركم معشر المعلمين، وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه، والآن قوّيت عزمي على إبقائه وأول ما أبدأ بك إن شاء الله تعالى.

*****

● مر إسحاق بن سليمان الهاشمي على قاصٍ وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ **يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ** ﴾، فتنفس ثم قال: اللهم إجعلنا ممن يتجرعه ويُسيغه!!.

*****

● صلّى أعرابي خلف إمام صلاة الصبح، فقرأ الإمام سورة البقرة، وكان الأعرابي مستعجلاً، ففاته مقصوده. ولما بكّر في اليوم التالي، وابتدأ الإمام بسورة الفيل، ولّى الأعرابي هارباً، وهو يقول: الفيل أكبر من البقرة!!.

*****

● ذكر كثير من المؤرخين أن المنصور كان يدخل البصرة في أيام بني أمية مستتراً، فيجلس في حلقة أزهر السمان المحدث، فلما أفضت الخلافة إليه قدم عليه أزهر الكوفة، فرحب به، وقرب منزله، وقال له: ما الذي أقدمك علينا؟ قال: جئتك طالباً. فأعطاه عشرة آلاف درهم، فأخذها وانصرف، ثم عاد إليه في قابل، فلما رآه، قال له: ما جاء بك؟ قال: جئت مُسَلِّماً عليك. فأمر له بعشرة آلاف درهم، فأخذها وانصرف، ثم عاد إليه في قابل، فقال له: ما الذي أقدمك؟ قال: جئت عائداً، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال له: لا تأتينا طالباً ولا مُسَلِّماً ولا عائداً؛ فأخذها وانصرف، ثم عاد في العام القابل، فلما رآه، قال له: ما الذي أتى بك؟ فقال له: دعاء كنت سمعته من أمير المؤمنين، جئت لأكتبه. فضحك المنصور، وقال: إنه غير مستجاب، لأني دعوت الله أن لا يُريني وجهك فلم يستجب لي، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم، وتعال متى شئت، فقد أعيتنا فيك الحيلة.

*****

● كان الجاحظ دميم الصورة، قبيح الوجه، ناتئ العينين؛ يُحكى أنه قُرع عليه ذات يوم الباب، فخرج غلامه، فسئل عنه، فقال: هو في البيت

يكذب على ربه. فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: نظر في المرآة فرأى وجهه، فقال: الحمد لله الذي خلقني فأحسن صورتي. وكان الجاحظ هذا إذا كتب حلى القراطيس بأقلامه، وإذا تكلم لفظ الدُّر من كلامه.

*****

● ومات حمار لصديق أحد الشعراء يسمى أكحل، وكان الصديق اسمه أحمد وكنيته أبو علي، وامرأته اسمها آمنة، فعزاهما بهذه الأبيات:

في قلب آمنة وقلب أبي علي
نار مؤججة لفقد الأكحل
نزل القضاء به فضاق عليهما
وجه القضاء وليته لم ينزل
أودى فأدوع لوعة بحشاهما
أبد الزمان وغمة لا تنجلي
قل للحمير عن المسير توقفي
ودعي الكلا في الحال والمستقبل
ودعي الشعير وحرميه مغربلاً
في كل ناحية وغير مغربل
ودعي النهيق وبدليه بشهقة
وقت العليق وأنةٍ وتململ
وتجرعي غصصاً فقد فجع الردى
أبناء جنسك بالسري الأمثل

من كان في سير الحمير تعده
أهل المجالس في الرعيل الأول
لا بدع إن جملت جميع خصاله
وسواه كل خصاله لم تجمل
ما كان من خبث البهائم مُضمراً
في قلبه مقدار حبة خردل
كلا ولا جلبت يداه أذية
للناس في سرواته والمنزل
كلا ولا رجلاه آذت مرة
(باللبط) شخصاً مثل بعض الأرجل
كلا ولا أغواه وصل حمارة
بل كان عن كل الإناث بمعزل

*****

قال الأصمعي: قلت للرشيد يوماً: بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من العرب طلّق خمس نسوة، قال الرشيد: إنما يجوز ملك رجل على أربع نسوة، فكيف طلق خمساً؟ قلت: كان لرجل أربع نسوة، فدخل عليهن يوماً فوجدهن متنازعات وكان الرجل سيئ الخلق، فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما أخال هذا الأمر إلا من قبلك، مشيراً إلى إحداهن، اذهبي فأنت طالق! فقالت له صاحبتها: عجلت عليها بالطلاق، ولو ادّبتها بغير ذلك، لكنت حقيقا، فقال لها: وأنت أيضاً طالق، فقالت له الثالثة: قبحك الله! فوالله

لقد كانتا إليك محسنتين، وعليك مفضلتين! فقال: وأنت أيها المعددة أياديهما طالق أيضاً. فقالت له الرابعة وكانت هلالية، وفيها أناة شديدة: ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق! فقال لها: وأنت أيضاً طالق وكان ذلك بمسمع من جارة له، فأشرفت عليه، وقالت: والله ما شهدت العرب عليك، وعلى قومك إلا بالضعف، إلا لما بلوه منكم، أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة! قال: أنت أيتها المؤنبة المتكلفة طالق، إن أجاز زوجك! فأجابه زوجها من داخل بيته: قد أجزت! قد أجزتُ.

*****

● مات مجوسي وعليه دَيْن، فقال بعض غرمائه لولده: لو بعت دارك وخففت بها عن والدك. فقال: إذا أنا بعت داري وقضيت بها عن أبي دينه فهل يدخل الجنة؟ قالوا: لا. قال: فدعوه في النار وأنا في الدار!

*****

● قال أبو العيناء: كان سبب خروجي من البصرة وانتقالي عنها أني مررت بسوق النخاسين يوماً، فرأيت غلاماً ينادَى عليه، وقد بلغ ثلاثين ديناراً وهو يساوي ثلثمائة دينار فاشتريته وكنت أبني داراً، فدفعت إليه عشرين ديناراً على أن ينفقها على الصناع فجاءني بعد أيام يسيرة، فقال: نفدت النفقة، قلت: هات حسابك، فرفع حساباً بعشرة دنانير، قلت: فأين الباقي؟ قال: اشتريت به ثوباً مصمتاً وقطعته، قلت: ومن أمرك بهذا؟ قال: يا مولاي، لا تعجل فإن أهل المروءات والأقدار لا يعيبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود بالزين على مواليهم، فقلت في نفسي: أنا اشتريت الأصمعي ولم أعلم، قال: وكانت في نفسي امرأة أردت أن أتزوجها سراً من ابنة عمي، فقلت له يوماً: أفيك خير؟ قال: أي لعمري،

فأطلعته على الخبر فقال: أنا نعم العون لك، فتزوجت ودفعت إليه ديناراً، فقلت له: اشتر لنا كذا وكذا ويكون فيما تشتريه سمك هازبي، فمضى ورجع، وقد اشترى ما أردت، إلا أنه اشترى سمكاً مارماهي فغاظني، فقلت: أليس أمرتك أن تشتري هازبي؟ قال: بلى، ولكني رأيت بقراط يقول: إن الهازبي يولد السوداء ويصف المارماهي ويقول: إنه أقل غائلة، فقلت: أنا لم أعلم أني اشتريت جالينوس وقمت إليه فضربته عشر مقارع، فلما فرغت من ضربه أخذني وأخذ المقرعة، وضربني سبع مقارع، وقال: يا مولاي، الأدب ثلاث، والسبع فضل، ولذلك قصاص، فضربتك هذه السبع خوفاً عليك من القصاص يوم القيامة، فأغاظني جداً فرميته فشججته فمضى من وقته إلى ابنة عمي فقال لها: يا مولاتي الدين النصيحة، وقد قال النبيﷺ: «**من غشنا فليس منا**» وأن أُعلِمك أن مولاي قد تزوج واستكتمني، فلما قلت له: لا بد من إعلام مولاتي ضربني بالمقارع وشجني. فمنعتني بنت عمي من دخول الدار وحالت بيني وبين ما فيها، فلم أر الأمر يصلح إلا بأن طلقت المرأة التي تزوجتها، فصلح أمري مع ابنة عمي وسمت الغلام: الناصح، فلم يتهيأ لي أن أكلمه فقلت: أعتقه وأستريح لعله أن يمضي عني فأعتقته، فغاب عليّ عشرين يوماً، ثم رجع، فقلت له: لمَ رجعت؟ قال: قطعت الطريق وفكرت، فإذا الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾، وكنت غير مستطيع وفكرت، فإذا حقك عليّ أوجب، فرجعت، ثم أراد الغزو فجهزته فشخص، فلما غاب عني بعت كل ما أملكه بالبصرة من عقار وغيره وخرجت عنها خوفاً من أن يرجع.

*****

● دخلت عجوز على السلطان سليمان القانوني تشكو إليه جنوده الذين سرقوا مواشيها عندما كانت نائمة. فقال لها السلطان: كان عليك أن تسهري على مواشيك، لا أن تنامي!! فأجابته: ظننتك ساهراً علينا يا مولاي، فنمت مطمئنة البال. فتنبَّه من قولها.

*****

● سئل أبو العيناء عن حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار فقال: بينهما في القدر ما بين أبويهما في الصرف.

*****

● شكى أبو العيناء إلى عبيدالله بن سليمان تأخر رزقِه فقال: ألم نكن كتبنا لك إلى فلان، فما فعل في أمرك؟ قال: جرني على شوك المطل، قال: أنت اخترته، قال: وما عليّ وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً؛ فما كان فيهم رشيد فأخذتهم الرجفة، واختار رسول الله ﷺ ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالكفار مرتداً، واختار عليّ أبا موسى فحكم عليه.

*****

● قال إياس بن معاوية: إن أول شيء حُكي عني أني كنت في مكتب رجل من أهل الذمة، فاجتمع إليه أصحابه، فقال: ألا تعجبون من أهل الإسلام، يقولون إنهم يأكلون في الجنة ولا يتغوطون؟! فقلت: يا معلم، أليس الدنيا ضرَّة الآخرة؟ قال: بلى. قلت: كل ما يؤكل في الدنيا يخرج

غائطاً؟ قال: لا . قلت: فأين يذهب؟ قال: يذهب بعضه غذاءً. قلت: فما تنكر إذا كان بعضه يذهب في الدنيا غذاءً أن يكون كله في الجنة يذهب غذاءً؟

قال: فألوى بيده وقال : قاتلك الله من صبي!

فقال هشام: ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً.

*****

● بلغَ مسامع أحد الأدباء أنَّ (فلاناً التاجر الكوفي) عادَ مَعَ مَن عادوا من أداء فريضة الحج، وكان هذا الحاج يتعاطى (الربا) فقال:

رأى (البيت) يُدعى بالحرام فحجَّهُ

ولو كان يُدعى بالحلال لما حجَّا

وكأنَّ هذا الأديب أراد قول الشاعر القديم:

إن كان مالُكَ سُحتاً كله وربا

فما حججت ولكن حجت الإبل

*****

● أرسل رجل ولده يشتري له رشاء (حبلاً) للبئر طوله عشرون ذراعاً.

فوصل إلى نصف الطريق، ثم رجع فقال: في عرض كم؟ قال: في عرض مصيبتي فيك يا بني!

*****

● للأعراب أجوبة حاضرة تدل على ذكاء، نرى ذلك في جواب أحدهم حين سئل:

كيف أنت في دِينك؟

قال:

أخرقه بالمعاصي، وأرقعه بالاستغفار!!.

*****

● قال الأصمعي: حج أعرابي فدخل مكة قبل الناس، وتعلق بأستار الكعبة وقال:

اللهم اغفر لي قبل أن يدهمك الناس!!.

*****

● قال الأصمعي أيضاً: سمعت أعرابياً وهو يقول في الطواف: اللهم اغفر لأمي. فقلت له: ما لك لا تذكر أباك؟ فقال: أبي رجل يحتال لنفسه، وأما أمي فبائسة ضعيفة.

*****

● دخل ابن يزيد على هشام بن عبدالملك، وعلى رأس ابن يزيد قَلَنسَوةٌ حسنة، فقال هشام: بكم أخذت قلنسوتك هذه؟ قال: بألف درهم! قال: سبحان الله، قلنسوة بألف درهم؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، أخذتها لأكرم أطرافي، وأنت قد اشتريت جارية بألف دينار لأخسّ أطرافك، فأفحم هشاماً بالجواب.

*****

● أهدى برهان الدين الكمال إلى صديقه ابن عنين المتوفى عام ٦٣٠هـ خروفًا وهما يومئذ بمصر ، فوجده ابن عنين ضعيفاً هزيلاً فكتب الى الكمال:

أتتنى أياديك التى لا أعُدُّها

لِكثْرتها لا كفر نعمى ولا جَهْلُ

ولكننى أنْبيكَ عنها بِطُرفةٍ

تروقك ، ما وَاتى لها قبلها مِثْلُ

أتانى خروفٌ ما شككتُ بأنه

حليف هوى قد شَفَّه الهجر والعَذْلُ

إذا قام في شمسِ الظهيرةِ خِلْتَه

خيالاً سرى فى ظلمةٍ ما له ظِلُّ

فناشدته : ما تشتهي؟ قال قِنَّةٌ

وسائلته: ما شَفَّه ؟ قال لي: الأكلُ

فأحضرتها خضراء مجَّاجَة الثَّرى

مسلَّمةً ما حص أوراقها الفتلُ

فظل يراعيها بعين ضعيفةٍ

وينشدها والدمْعُ في العين منهلُّ

(أَتَتْ وحـــيــاض الموت بيـني وبـيـنهـــا
وجـــادت بـوصلٍ حـين لا يـنفـعُ الـوصلُ)

*****

● قال هاشم بن القاسم العنزي:

جمعني والفرزدق مجلس، فتجاهلته، فقلت له:

من أنت؟

قال:

أما تعرفني؟

قلت:

لا.

قال:

فأنا أبو فراس؟!

قلت:

ومن أبو فراس!

قال:

أنا الفرزدق!

قلت:

ومن الفرزدق؟

أوَما تعرف الفرزدق؟

قلت:

أعرفه أنّه شيء يتخذه النساء عندنا، يتسمَّن به، وهو الفَتُوت. فضحك الفرزدق وقال له:

الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم.

*****

● ساوم أعربيٌّ «حنيناً الإسكافي» في مدينة الحيرة على خفين، وطال الجدل بينهما، ولم يتمكن الأعرابي مع ذلك من شرائهما، وذاك ما غاظ حنيناً، فقرر الانتقام من الأعرابي، فسار في الطريق التي كان من الثابت أن الأعرابي سيسير عليها، فعلّق أحد الخفين بشجرة، ومشى مسافة فألقى الخفّ الآخر في الطريق، واختبأ في موضع، ومرّ الأعرابي، فرأى أحد الخفين فقال: ما أشبهه بخف حنين، ولو كان معه الآخر لأخذته. وتقدم فرأى الثاني مطروحاً. فأسف لتركه الأول. فنزل وعقل بعيره، ورجع إلى الأول، فسار حنين براحلته. وعاد الأعرابي إلى الحيّ وليس معه إلا الخفّان، فأصبحت قصته مثلاً سائراً فقالوا: «رجع بخفيّ حنين».

*****

● ذكر أن الكسائي كان لا يفتح على ولد الرشيد إذا غلطوا في القراءة عليه! وإنما كان ينكس طرفه، فإذا غلط أحدهم نظر إليه، وربما

ضرب الأرض بخيزرانه التي في يده، فإن سُدِّد القارئ للصواب مضى، وإلا نظر في المصحف.

فافتتح المأمون يوماً عليه سورة الصف، فلما قرأ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾، نظر إليه الكسائي، فنظر المأمون في المصحف، فإذا هو مصيب، فمضى في قراءته.

ولما رجع إلى الرشيد قال له: يا أمير المؤمنين، إن كنت قد وعدت الكسائي شيئا فهو يستنجزه.

قال: إنه كان استوصاني أن أعطي لبعض القراء، فوعدته، فهل هذا هو الذي ذكر لك؟

فقال المأمون: إنه لم يذكر لي شيئاً.

ثم أخبره بالأمر!

*****

● قال عبدالملك بن مروان للأخطل، وكان شاعره المفضّل:

ما لك والخمرة يا أبا مالك؟ أوّلها مرّ وآخرها سكر!

فقال الأخطل:

أمّا إذا قلت ذلك فإنّ ما بين هاتين لمنزلة ما ملكك فيها إلاّ كعُلقة ماء من الفرات بالإصبع.

*****

● مرّ رجل بأشعب، وكان يجرّ حماره؛ فقال له الرجل مازحاً:

لقد عرفت حمارك يا أشعب ولم أعرفك.

فقال أشعب:

لا عجب في ذلك، فالحمير تعرف بعضها.

*****

● قال صاحب أخبار الحمقى:

حكى لي بعض الإخوان أن بعض المغفلين كان يقود حماراً، فقال بعض الأذكياء لرفيق له:

يمكنني أن آخذ هذا الحمار ولا يعلم هذا المغفل. قال: كيف تعمل ومقوده بيده؟ فتقدم فحلَّ المقود وتركه في رأس نفسه، وقال لرفيقه: خذ الحمار واذهب. فأخذه ومشى ذلك الرجل خلف المغفل والمقود في رأسه ساعة. ثم وقف فجذبه فما مشي. فالتفت فرآه فقال:

أين الحمار؟ فقال: أنا هو. قال: وكيف هذا؟ قال: كنت عاقاً لوالدتي فمسخت حماراً، ولي هذه المدة في خدمتك، والآن قد رَضيت عني أمي فعدت آدمياً. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله. وكيف كنت أستخدمك وأنت آدمي؟ قال: قد كان ذلك. قال: فاذهب في دعة الله. فذهب. ومضى المغفل إلى بيته فقال لزوجته: أعندك الخبر؟ كان الأمر كذا وكذا، وكنا نستخدم آدمياً ولا ندري، فبماذا نكفِّر وبماذا نتوب؟

فقالت: تصدق بما يمكن. قال فبقي أياماً. ثم قالت له: إنما شغلك المكاراة فاذهب واشتر حماراً لتعمل عليه، فخرج إلى السوق، فوجد حماره يُنادى عليه، فتقدم وجعل فمه في أذنه وقال:

يا مدبر عدت إلى عقوق أمك؟!.

*****

● دخل أبو دلامة على المنصور وأنشده:

إنّـي رأيـتـك فـي المـنـام
وأنـت تـعـطـيـنـي خـيـارة
مـمـلـوءة بـدراهـم
وعـلـيـك تـأويـل الـعـبـارة

فقال له المنصور:

امض فائتني بخيارة أملأها لك دراهم ودنانير. فذهب أبو دلامة إلى السوق، وأحضر أكبر قرعة توجد هناك. فلمّا رآه المنصور مقبلاً، قال له:

ما هذا؟

قال:

يلزمني الطلاق من زوجاتي الأربع إن كنت رأيت القرعة، ولكنّي نسيت. فلما رأيت القرعة في السوق ذكرتها.

*****

● ولنقرأ هذه المبالغة الضاحكة، يرسلها ابن الرومي في بخل عيسى بن منصور:

يقتِّر عيسى على نفسه
وليس بباقٍ ولا خالدِ
فلو يستطيع لتقتيره
تنفس من منخر واحدِ

*****

● قال يحيى بن زياد المحاربي لمطيع بن إياس - وكان صديقاً له -: انطلق بنا إلى فلانة فإن بيني وبينها مغاضبة، لتصلح بيننا، وبئس المصلح أنت.

فانطلقا ودخلا دارها، وأقبل يحيى والمرأة يتعاتبان، ومطيع ساكت، حتى إذا أكثر العتاب قال يحيى: ما يسكتك؟ أسكت الله نأمتك، فقال مطيع:

أنت معتلّةٌ عليه ومازا
ل مهينا لنفسه في رضاك

فأعجب يحيى وهشّ له، فقال مطيع:

فدعيه وواصلي ابن إياس
جُعلتْ نفسه الغداةَ فداك

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت، فما زال يجلد بها رأسه ويقول: ألهذا جئت بك؟ ومطيع يستغيث والجارية تضحك منهما.

*****

● هدد أحدهم المهرج المعروف تريبوله بأنه سيقضي عليه جلداً، فلجأ المهرج إلى الملك فرنسوا الأول طالباً حمايته، فقال له الملك: إذا تجرأ أحد على قتلك؛ فسأشنقه بعد ربع ساعة، فقال تريبوله: مولاي، أرجوك أشنقه قبل ربع ساعة.

*****

● دخل رجل على عروة بن الزبير يعزيه بعد أن قطعت رجله، وبادره بقوله:

أقطعت رجلك؟

قال:

نعم..

قال:

جيد!! وهل وجعك شديد؟

قال:

نعم..

فقال:

لا تغتم فإنك لو علمت ثوابها لتمنيت أن الله قطع رجليك ويديك وأعمى بصرك!!.

*****

● لمّا مات سعيد بن مسلم الباهلي قال الرشيد لأبي العالية:

علم فلاناً تعزية يعزي بها ولد سعيد، فقال أبو العالية للفتى:

إذا صرت إلى القوم فقل: عظم الله أجركم، وأحسن عزاءكم، ورحم سعيداً.

فقال الفتى: هذا عزاء طويل.

فقال له:

فقل إذن: أعظم الله أجركم، وختم بالصبر على قلوبكم.

فقال:

وهذا أطول من ذاك.

إذاً فقل: أعظم الله أجركم.

وكررها عليه طويلاً، ثم ركب إلى القوم، فخرج هؤلاء إعظاماً له، فلما رآهم سأل:

ما فعل سعيد؟

فقالوا:

مات.

فقال:

جيد، فماذا فعلتم به؟

فقالوا:

دفناه.

فقال:

أحسنتم!! ثم انصرف.

*****

● مرض صديق لحامد بن العباس فأرسل هذا ابنه إليه يعوده، وأوصاه قائلاً:

إذا دخلت عليه فاجلس في أرفع المواضع، وقل للمريض: ما تشكو؟ فإذا قال لك كذا وكذا، فقل: سليم إن شاء الله، ثم سله: من يجيؤك من الأطباء؟. فإذا قال: فلان، فقل: مبارك ميمون. ثم سله: ما غذاؤك؟. فإذا أجاب كذا وكذا، فقل له: طعام محمود. فذهب الابن، ودخل على المريض، وكانت بين يديه منارة، فجلس عليها لارتفاعها، فسقطت على صدر المريض فأوجعته، ثم سأل المريض:

مم تشكو؟

فقال:

أشكو علة الموت.

فقال:

سليم إن شاء الله!! فمن يجيؤك من الأطباء؟

قال:

ملك الموت.

فقال:

مبارك ميمون، فما غذاؤك؟

قال:

سم الموت.

فقال:

طعام طيب محمود. ثم انصرف!!.

*****

● ولَّى الحجاجُ أعرابياً على بلد تسمى تبالة، فجمع أهلها وقال: إن الأمير أوصاني عليكم، ووالله لا أُحسن أن أقضي بين خصمين مرتين، ووالله لا أُوتى بظالم ولا مظلوم إلا وضربته حتى أقتله.

فتناصف الناسُ بينهم!

*****

● كان لبشار أخوان، وكانا يعملان قصّابين، وكثيراً ما كانا يستعيران ثيابه فيوسّخانها، وينتنان ريحها، فاتّخذ قميصاً له جيبان وحلف ألا يعيرهما ثوباً من ثيابه. ولكنّهما كانا يأخذانها بغير إذنه، وذات مرّة دعا بثوبه، فلبسه، فأنكر رائحته الكريهة، فقال:

أينما أتوجّه ألف سعداً!! (وهو مثل يضرب في سوء المعاشرة).

ولمّا خرج إلى الناس في تلك الثياب، قيل له:

ما هذا يا أبا معاذ؟

قال:

هذه ثمرة صلة الرحم.

*****

• كان نصر بن مقبل عاملاً للرشيد على الرقة، فأتي برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة، فقال: أيها الأمير، إنها والله ملك يميني، وقد قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

فأطلقه وأمر أن تضرب الشاة الحدّ، فإن ماتت تصلب.

قالوا: أيها الأمير إنها بهيمة.

قال: وإن كانت بهيمة، فإن الحدود لا تعطل، وإن عطلتُها فبئس الوالي أنا.

*****

• حُكي عن بعض الشعراء، قال: دخلت مسجداً بحمص، فرأيت رجلاً مكشوف الرأس، فقلت: سلام عليكم، فلم يرد عليّ جواباً. فكررت عليه السلام، فنظر إليّ مغضباً وقال: لعلك من هؤلاء الصفاعنة، الذي يأتون من أسفل الشام؟!

قلت: ما شأنهم؟

قال: إنهم يقرؤون السبع الطوال، ويبغضون أبا بكر الصناديقي، وعمر القواريري بن عفان، وعثمان بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي الخطاب، أحد حملة العرش.

قلت: ومن معاوية:

قال: هو رجل أرسله الله إلى قوم يعلمهم أن عصا موسى كانت من التوت، فلقيه محمود النبي، فزوجه ابنته عائشة، فولدت له الحسن والحسين، في أيام الحجاج بن المهدي.

فقلت له: أراك خبيراً بالتواريخ؟ وأنا قد أفنيت عمري في هذا الفن وما عرفت هذا، أتحفظ القرآن؟!

قال: اقرأ باللغات السبع.

قلت: اقرأ لي شيئاً منه.

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وكانوا إذا جاءهم بشير أو نذير، استغشوا استغشاشاً، وقاموا إلى ناقة الله فذبحوها، ومكروا مكراً كباراً، فبأى آلاء بابكما تكذبان.

فقلت له: يا شيخ كيف ترضى بهذه الحالة، مع حوزك هذه الفضائل، هلا سكنت بغداد، ليعرفوا قدرك وفضلك؟

فقال: بغداد دار الجهلة والمجانين، ما أصنع بها؟

فقلت: صدقت، وتركته وانصرفت.

*****

● كان بمصر رجل يعرف بأبي جعفر الشق معروف بالحمق والغفلة والجد والنعمة.

قال أبو الحسين كاتبه: وأتيتُ إليه يوماً وقد ماتت والدتي فعرفته، فبكى وقال: ماتت كبيرتي ومربيتي - وهو كان أكبر منها بأربعين سنة - ثم قال لغلامه: يا بشري، قم فجئني بعشرين ديناراً، فأتاه بها، فقال: خذها فاشتر بعشرة دنانير كفناً، وتصدق بخمسة دنانير على القبر، وأقبل يصرف هو الخمسة الباقية فيما يحتاج إليه من تجهيزه. ثم قال لغلام آخر: امض أنت يا لؤلؤ إلى فلان صاحبنا يغسلها، فاستحييت منه وقلت: يا سيدي، ابعث خلف فلانة تغسلها. قال: يا أبا الحسين، ما تدع عقلك في فرح ولا حزن، كأن حرمك ما هي حرمي! كيف يدخل عليها من لا نعرفه. قلت: نعم! تأذن لي بذلك. قال: لا والله ما يغسلها إلا فلان! فقلت: وكيف يغسل رجل امرأة؟ قال: وإنما أمك أمرأة، والله لقد أُنسيت!!

*****

● أتى رجل أبا محمد النوبهاري فقال: وضعتُ رأسي في حجر امرأتي فقالت: ما أثقل رأسك! فقلت: أنت طالق إن كان رأسي أثقل من رأسك. فقال النهوبهاري: تطلق عليك، فقيل له: ولِمَ؟ قال: لأن القصّابين أجمعوا على أن رأس الكبش أثقل من رأس النعجة!

*****

• كتب رجل إلى قاضٍ في أمر قوم من جيرانه اختصموا: إن الذي لم يجرِ بينهما غير مفهوم، وقد أردتُ الاستصلاح فعاد استفساداً. فإن رأى القاضي ـ أدام الله عزله ـ أن يصفح عن كتابي فإن فيه نقصاً.

فقال القاضي: لا، بل فيه زيادة لام، كفانا الله شرَّها.

*****

• قيل لبشار بن برد: إن فلاناً يزعم أنه لا يُبالي بلقاء واحدٍ أو ألف.

فقال: صدق، لأنه يفرُّ من الواحد كما يفرُّ من الألف!

*****

• أتى مغفَّل ليكسر لوزة؛ فزلقت عن الحجر! فقال: كل شيء يفرُّ من الموت، حتى البهائم أيضاً!!

*****

• قال الحمدوني في أضحية أهداها إليه سعيد بن أحمد بن جوسبنداد:

أسعيد قد أهديتني أضحية

مكثت زمانا عندكم ما تطعم

نَضْواً تغامزت الكلاب بها وقد

شدوا عليها كي تموت فيولموا

فإذا الملا ضحكوا بها قالت لهم

لا تهزؤوا بي وارحموني ترحموا

مـــرت على علف فــقـــامت لم تـرم

عـنـه وغـنـت والمـدامـع ســــــجـم

وقال:

أبا ســعــيــد لنا في شــاتك العــبــر

جـــاءت وليس لهـــا بـول ولا بعـــر

وكــيـف تبـــعـــر شـــاة عندكم مكثت

طعامـهـا الأبيضـان: الشـمس والقـمـر

لو أنهـــا أبصــرت في نومــهـــا علفـــا

غـنـت لـه ودمـــوع العـين تـنـحــــدر

يا مـــانعي لذة الدنيـــا بما رحـــبـت

إني لـيــمــتــعـني من وجــهـك النـظـر

*****

● التفت المأمون إلي بثينة فقال: أنت بثينة جميل؟

فقالت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: ما الذي رأى فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين؟ قالت: الذي رأى الناس فيك فجعلوك خليفتهم. قال: فضحك عبدالملك، وسره جوابها وفضلها على عزّة في الجائزة. ثمّ أمرهما أن يدخلا على عاتكة فدخلتا عليها؛ فقالت لعزّة: أخبريني عن قول كثير:

قـــضـى كل ذي ديـن فـــوفى غـــريمه

وعـــزة ممطـول مـــعني غـــريمهـــا

ما كان دينه؟ وما كنت ودعته؟ قالت: كنت ودعته قبلة ثم تأثمت منها. قالت عاتكة: وودت أنك فعلت، وأنا كنت تحملت إثمها عنك. ثم ندمت عاتكة واستغفرت الله تعالى، وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة.

*****

● دُفع أحدهم مرة إلى والي مكة، وقد أفطر في شهر رمضان، فقال له الوالي:

يا عدو الله، تفطر في شهر رمضان؟!

قال:

أنت أمرتني بذلك.

قال:

هذا شرّ، كيف أمرتك، ويلك؟!

قال:

حدثت عن ابن عباس أنه من صام يوم عرفة عَدَلَ صومه سنة، وقد صمته.

فضحك الوالي وخلّاه.

*****

● صعد ابن زهير الخُزاعي جبلاً، فأعيا، وسقط كالمغشي عليه، فقال: يا جبل ما أصنع بك؟ أأضربك؟ لا يوجعك، أأشتمك؟ لا تُبالي، يكفيك يوم تكونُ الجبال كالعهن المنفوش!

*****

● قالت الخنفساء لأمها: ما مررتُ بأحد إلا بصق علي! قالت: يا بُنية لحسنك تُعوَّذين.

*****

● دخل إيليا أبو ماضي، على صديقه وليم كتسفليس، فوجده وبين يديه كلبته فيفي جثة هامدة، فرثاها:

عضها الدهر بعدما عضت الناس
وأدت مهمة الحُجَّابِ
كم فقير أتى ليشحذ قوتاً
حرمته فيفي ولوج الباب
وغريم قد جاء يطلب ديناً
تركته معفراً في التراب
وشقيٍ أتى ليسرق بيتاً
غادرته ممزق الأثواب
رحمة اللحم والعظام عليها
وصلاة الصحون والأكواب

*****

● قيل:

كان بشار يقول الشعر وهو صغير، فإذا هجا قوماً جاؤوا إلى أبيه فشكوه، فيضربه ضرباً مبرّحاً. وكانت أمّه تقول:

كم تضرب هذا الصبيّ الضرير، أما ترحمه؟

فيردّ عليها بقوله:

ولكنّه يتعرّض للناس فيشكونه إليّ.

فسمعه بشار، فقال له:

يا أبت، إنّ هذا الذي يشكونه منّي إليك هو قول الشعر، وإنّي إن ألمت عليه أغنيتك وسائر أهلي. فإن شكوني إليك فقل لهم: أليس الله يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾؟

ولمّا عاودوه شكواهم قال لهم برد ما قاله بشار، فانصرفوا وهم يقولون:

فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار.

*****

● قيل: إن بعض الفقراء وقف على باب نحوي فقرعه.

فقال النحوي: من بالباب؟

فقال: سائل.

فقال: ينصرف.

فقال: اسمي أحمد!

فقال النحوي لغلامه: أعط سيبويه كسرة!

*****

● قصد رجل الحجاج بن يوسف فأنشده:

أبا هشام ببابك قد شمّ ريح كبابك

فقال: ويحك! لم نصبت: أبا هشام؟

فقال: الكنية كنيتي، إن شئت رفعتها، وإن شئت نصبتها!

*****

● انتاب الشاعر حافظ إبراهيم ألم في بطنه من الجهة اليسرى، فاعتقد أنه مريض بـ«المصران الأعور» فأخبر بذلك طبيباً صديقاً له، فطمأنه بأن «الأعور» لا يكون إلا في الجهة اليمني.

فقال حافظ: يا دكتور، يمكن يكون اللي عندي أعور شمال!!.

*****

● قال رجل لامرأته: الحمد لله الذي رزقنا ولداً طيباً. قالت: الحمد لله، فلم يرزق أحد مثل ما رزقنا به. فدعيا ولدهما، فجاء، فقال له أبوه:

يا بني، من حفر البحر؟

قال: موسى بن عمران.

قال: ومن بلطه؟

قال: محمد بن الحجاج.

فشقت المرأة قميصها، ونشرت شعرها، وجعلت تبكي.

فقال زوجها: ما بك؟

قالت: لا يعيش ابني مع هذا الذكاء.

*****

● ومن الحمقى المشهورين هبنقة، ومن حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف، وقال: أخشى أن أضل نفسي، ففعلت ذلك لأعرفها به. فحولت القلادة ذات ليلة من عنقه لعنق أخيه، فلما أصبح قال: يا أخي، أنا أنت، فمن أنا؟!

*****

● حدث أن طالباً سودانياً مسلماً كان يدرس في الجامعة الأمريكية في بيروت، وكان هذا الطالب السوداني محافظاً على أداء فرائضه الدينية، وفي أحد الأيام لاحظه أحد المدرسين في هذه الجامعة يتوضأ للصلاة.. فصاح فيه غاضباً: كيف تغسل قدميك في حوض نغسل فيه وجوهنا؟!

إنها حيلة الذئب المعروفة مع الحمل..

فقال له الطالب السوداني: كم مرة تغسل وجهك في اليوم؟

فقال الأستاذ الأمريكي: مرة واحدة في كل صباح طبعاً.

قال الطالب السوداني: أما أنا فأغسل رجلي على الأقل خمس مرات في اليوم، ولك أن تحكم بعد ذلك أيهما أكثر نظافة رجلي أم وجهك؟!

*****

● قال رزين الكاتب: اجتمعنا يوماً أنا وأبو نواس وعلي بن الخليل في سوق الكرخ، وكنا نجتمع ونتناشد الأشعار ونتذاكر الأخبار ونتحدث بها، فقال أبو نواس: أدبر من كان في نفسي، وكان أسرع الخلق في طاعتي، فما أدري ما أحتال له؟ فقال علي بن الخليل يمازحه:

يا أبا علي، سل شيخك وأستاذك يعطفه عليك.

فقال أبو نواس: من تعني؟

قال: من أنت في طاعته ليلك ونهارك (يعني إبليس)، فإن لم يقض لك هذه الحاجة فما ينبغي لك أن تسأله مسألة ولا أن تقر عينه بمعصية!!

فقال: هو أسدٌّ لرأيه من أن يخلَّ بي أو يخذلني وانقضى مجلسنا ذلك.

فلما كان بعد أيام اجتمعنا في ذلك الموضع وأخذنا في أحاديثنا، فضحك أبو نواس، فقلنا له:

ما أضحكك؟

فقال:

ذكرت قول علي بن الخليل يومئذ: سل شيخك يعطفه عليك! حينئذ قد سألته يا أبا الحسن فقضى الحاجة، وما مضت والله ثالثة حتى أتاني من غير أن أبعث إليه، ومن غير أن أستزيده، فعاتبني واسترضاني. وكان الغضب منه والتجني. وأحسب الشيخ (يعني إبليس) كان يتسمع علينا في وقت كلامنا، وقد قلت أبياتاً في ذلك.

فقلنا: هاتها.

فأنشد:

لما جفاني الحبيب وامتنعت
عني الرسالات منه والخبر
واشتد شوقي فكاد يقتلني
ذكر حبيبي، والهمُّ والفكر
دعوت إبليس ثم قلت له
في خلوةٍ، والدموع تنحدر
أما ترى كيف بليت وقد
أقرح جفني البُكاءُ والسهر؟
إن أنت لم تُلقِ لي المودة في
صدر حبيبي وأنت مقتدر
لا قلت شعراً، ولا سمعت غناً
ولا جرى في مفاصلي السَّكَرُ
ولا أزال القرآن أدرسه
أروح في درسه وأبتكر
وألزم الصوم ولاصلاة ولا
أزال دهري بالخير آتمر
فما مضت، بعد ذاك ثالثة
حتى أتاني الحبيب يعتذر

*****

● أضاع هبنّقة جملاً، فجعل ينادي:

من وجد جملي فسأعطيه إياه.

فقالوا له:

ما دمت ستعطي الجمل لمن سيجده، فلماذا تسأل عنه؟

فقال:

أنتم لا تعرفون لذّة إيجاد المفقود.

وقيل أيضاً:

شرد له بعير، فجعل يقول: من يدلّني عليه سأعطيه بعيرين.

فقيل له:

أتجعل بعيرين في بعير واحد؟!

فقال:

إنكم لا تعرفون لذّة من وجد ضالّته.

*****

● وحضر سفرة سليمان أعرابي، فنظر إلى شعرة في لقمة الأعرابي، فقال: أرى شعرة في لقمتك يا أعرابي، قال: وإنك لتراعيني مراعاة من يبصر الشعرة في لقمتي؛ والله لا واكلتك أبداً، فقال: استرها يا أعرابي؛ فإنها زلة ولا أعود لمثلها.

*****

● قال الأصمعي: قلت لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذاً لرجل سوء. قلت له: أفتجر فلسطين؟ قال: إني إذا لقوى.

*****

● سمع أعرابي إماماً يقرأ: (ولا تَنكحوا المشركين حتى يؤمنوا)، قرأها بفتح التاء، فقال: ولا إن آمنوا أيضاً لم ننكحهم، فقيل له: إنه يلحن وليس هكذا يقرأ، فقال: أخروه قبحه الله، لا تجعلوه إماماً فإنه يحل ما حرم الله.

*****

● خطب أعرابي فلما أعجله بعض الأمر عن التصدير بالتحميد والاستفتاح بالتمجيد قال: أما بعد: بغير ملال لذكر الله ولا إيثار غيره عليه فإنا نقول: كذا، ونسأل كذا؛ فراراً من أن تكون خطبته بتراء وشوهاء.

*****

● دفعوا إلى أعرابية علكًا لتمضغه، فلم تفعل، فقيل لها في ذلك، فقالت: ما فيه إلا تعب الأضراس وخيبة الحنجرة.

*****

● تقدم رجل إلى أحد القضاة بخصم، فقال: إن هذا باعني ثوباً، وجدت فيه عيباً، وسألته أن يقيلني فأبى.

فالتفت إليه القاضي، وقال: أقله، عافاك الله، فإن رسول اللهﷺ قال: (**قيلوا فإن الشياطين لا تقيل**).

*****

● تظاهرت الأم بأنها مريضة، فأخذها ولدها إلى الطبيب، فقال له الطبيب:

يا بني، إذا أردت شفاء أمك فزوِّجها!

فتزوجت الأم وهي كبيرة في العمر، فطلقها زوجها.

ثم تظاهرت بالمرض مرة ثانية.

فقال لها ابنها:

.. هل أجلب لك الدكتور؟

فقالت:

لا داعي لذلك.. أنت تعرف الوصفة من المراجعة السابقة!

*****

● ولَّى يزيد بن المهلب أعرابياً، على بعض كور خراسان، فلما كان يوم الجمعة، صعد المنبر وقال:

الحمد لله، ثم ارتجّ عليه فقال: أيها الناس إياكم والدنيا فإنكم لم تجدوها إلا كما قال الله تعالى: **وما الدنيا بباقية لحيّ .·. وما حي على الدنيا بباق**

فقال كاتبه: أصلح الله الأمير هذا شعر؟

فسأله: هل الدنيا باقية على أحد؟

فقال: لا يبقى عليها أحد؟

قال: فما كلّفتُك يا مغفل!

*****

• قال مسلمة بن عبدالملك لنصيب الشاعر: أمدحت فلاناً (الرجل من أهله)؟

فقال نصيب: نعم لقد فعلت.

قال مسلمة بن عبدالملك: أو حرمك من الجزاء؟

فقال نصيب: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال مسلمة: فهلا هجوته يا نصيب؟

فقال نصيب: لم أفعل يا أمير المؤمنين.

قال مسلمة بن عبدالملك: ولمَ لم تفعل وقد حرمك الجزاء؟

فقال نصيب: لأني كنت أحق بالهجاء منه إذ ظننته موضعاً لمدحي.

فأعجب به مسلمة وقال له: أسألني يا نصيب؟

فقال نصيب: إن كفك بالعطية أجود من لساني بالمسألة يا أمير المؤمنين.

فأبهره حسن جوابه وأمر له بعطاء جزيل.

*****

• قال حمزة شحاته ـ رحمه الله ـ:

أقْصَرتُ من همٍّ ومن تَشْمِيري
ورضيتُ من دنيايَ بالمَيْسورِ

ومضَيتُ أمتدح القناعةَ بعدما
سبقَتْ جيادُ الرّاكبين حَميري

وأقـولُ: آثَرتُ السّلامـة من هَوى الدّ
نيـا الدَّنيَّـة ، أو أرَحتُ ضـمـيـري
وغـرامُـهـا ملءُ الفـؤاد ، وإنما
دَعـوى الزَّهادة حُـجَّـة التَّـقـصـيرِ
وَلَوْ انّ لي بين العـمـائم عِـمَّـةً
رسـمِـيَّـةً لم أرْضَ « بالطُّرطورِ»
لكنَّ مَن جَـعَلوا الوظائفَ قـيـمـةَ الـ
إخـلاص لم يُطْرِبْهُـمـو طُنْبُـوري
فـحـملتُ بين البـارزينَ ، وكلُّهم
دوني ، وقَلَّ من الرجـال نَظيـري
والنُّجحُ مـعـيـارُ المزايا والغِنَى
مـيـزانُهـا المُغني عن التّـقـديرِ
لبِسَ اللّصوصُ به ثيابَ ذوي التُّقى
وحَـمَى جـرائِمَـهم من التَّـعـزيرِ
وتناهَبـوا الأمـجـادَ باهرةَ السَّنى
مَـوْصـولةَ المشـهـودِ بالمأثورِ
قالوا : حَذِقْتَ الشّعرَ وهْو رسالةُ الـ
أحـرارِ؟ كـلاّ يا شـهـودَ الزُّورِ
لو صَحَّ مـا قلتُم لما خـاضَ الدُّجى
شـعـراؤكم ، ونَعِـمـتـمـو بالنّور

المالُ مِعيارُ الحياة ، ومُشتري
رِقِّ الرّجالِ بها ، وزَنْدُ المُوري
وذووه أصنامٌ تُؤلِّهُ جَمْهَرَةً
زَكَّى عبادَتَها تراب « المِيري»
هي قِصَّةٌ قام الخِداعُ بِدَوْرِهِ
فيها ومَسْرحُها قَفَا الجُمْهورِ
وإذا سألتَ النَّاس عنِّي لم تَجِدْ
لأخيكَ غيرَ سَفاسِفٍ وقُشورِ
ما شئتَ من شِعرٍ ونثرٍ مونِقٍ
ومشاركاتِ حِجىً وفيضِ شُعورِ
والعلمُ آفتُه الغُرورُ ، وربّما
عَصَفَ العَمى بالعالِمِ النِّحريرِ
فرأى الثَّراءَ مع الهوانِ حقارةً
فاختار أن يحيا بلا «تَزْفيرِ»
وأنا الملومُ ، فلو سَلَكتُ سُلوكَهُم
لَمَلأتُ من ذَهَبٍ حُمولَةَ «لُوري»
وصِراع صُوفيٍّ تُجُوهِلَ قَدْرُهُ
بينَ الرّجالِ ، فعاشَ «كالخُنْشورِ»
يَمشي وقد ركِبَ « الكَدَالِك» غيرُهُ
في الحَرِّ ، يَرشَحُ لاهثًا كالزِّيرِ

لا يستطيع وقد تضاءَلَ دَخْلُه
أن يَهجُرَ الأوتوبيسَ «للحَنْطورِ»
فتراه في سوق الخضار مُقَسِّمَ الـ
قرشَينِ بين العَيْش والجرْجِيرِ
عَرَضوا عليه وظائفًا مشبوهة
فأبى ، ورَدَّدَ : يا دوائرُ دُوري
وأطالَ في بعض الأمور لِسانَه
فأُصيبَ بعد الحَبس بالتَّسفيرِ
وإذا اشتَهَت «سيخَ الكباب» «مراتُهُ»
في كلّ تِسعة أشهرٍ وكُسورِ
«راحت» تطالب بالطَّلاق لغُلبِها
من راجِل مُتَنَطِّعٍ دَبّورِ

*****

● كان للأعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول: لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً.. فيأبي عليه الأعمش، فعرض عليه ذات يوم، فوافق جوع الأعمش. فقال: مر بنا فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحاً. إذ سأل سائل. فقال له رب المنزل:

بورك فيك. فأعاد عليه المسألة، فقال له: بورك فيك، فلما سأل الثالثة قال له: اذهب وإلا خرجت إليك بالعصا. قال: فناداه الأعمش: اذهب ويحك ولا والله ما رأيت أحداً أصدق مواعيداً منه، وهو منذ سنة يعدني على كسرة وملح ولا والله ما زادني عليهما.

*****

● حكى بعضهم، قال: كنت في سفر فضللت عن الطريق، فرأيت بيتاً في الفلاة (الصحراء)، فأتيته فإذا به أعرابية، فلما رأتني قالت: من تكون؟ قلت: ضيف، قالت: أهلاً ومرحباً بالضيف انزل على الرحب والسعة. قال: فنزلت فقدمت لي طعاماً فأكلت، وماء فشربت، فبينما أنا على ذلك، إذ أقبل صاحب البيت. فقال: من هذا؟ فقالت: ضيف. فقال: لا أهلاً ولا مرحباً، ما لنا وللضيف، فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت، فلما كان من الغد رأيت بيتاً في الفلاة، فقصدته فإذا أعرابية فلما رأتني قالت: من تكون؟ قلت: ضيف، قالت لا أهلاً ولا مرحباً بالضيف، ما لنا وللضيف، فبينما هي تكلمني، إذ أقبل صاحب البيت، فلما رآني، قال من هذا؟ قلت: ضيف، قال: مرحباً وأهلاً بالضيف، ثم أتى بطعام حسن فأكلت، وماء فشربت، فتذكرت ما مر بي الأمس فتبسمت، فقال: مم تبسمك؟ فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الاعرابية وبعلها، وما سمعت منه ومن زوجته، فقال: لا تعجب!! إن تلك الأعرابية التي رأيتها أختي، وإن بعلها أخو امرأتي هذه، فغلب على كل طبع أهله!!.

*****

● قيل لأعرابي: عند من تحب أن يكون طعامك؟ قال: عند أم صبي راضع، أو ابن سبيل شاسع، أو كبير جائع، أو ذي رحم قاطع.

*****

● قال أعرابي: لولا ثلاث هن عيش الدهر الماء والنوم وأم عمرو لما خشيت من مضيق القبر.

*****

• سمع أعرابي رجلاً يقرأ سورة براءة فقال: ينبغي أن يكون هذا آخر القران قيل له: ولم؟ قال: رأيت عهوداً تنبذ.

*****

• وقع بين الأعمش وبين امْرأته وحشة، فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما.

فدخل إليها وقال:

إن أبا محمد شيخ كبير، فلا يزهدنك فيه عمش عينيه، ودقة ساقيه، وضعف ركبتيه، ونتن إبطيه، وبخر فيه، وجمود كفيه.

فقال له الأعمش: قم قبّحك الله، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه!!.

*****

• سألت رئيسة لجنة الإسعاف إحدى الطالبات:

ماذا تفعلين لو ابتلع طفلك مفتاح المنزل؟

فكّرت الطالبة قليلاً، ثم قالت:

أدخل البيت من شبّاك المطبخ!

*****

• تقدم جماعة إلى قراقوش، وكان عاملاً لصلاح الدين على مصر، ومعهم قتيل وثور ورجل مكتوف، فقالوا: أيها الأمير، هذا الثور صال على هذا الرجل، فقتله وهذا مالكه، وهو العاقلة.

ففكر ساعة ثم أمر بالثور أن يشنق، ويطلق صاحبه.

قيل له: ما هذا حكم الله.

فقال: لو جرى هذا في زمن فرعون ما فعل غير هذا، فإنه القاتل، ولا يحلّ أن يقتل غير القاتل.

*****

● خرج معن بن زائدة في جماعة من خواصه للصيد، فاعترضهم قطيع ظباء، فتفرقوا في طلبه. وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن أصحابه، فلما ظفر به نزل فذبحه، فرأى شيخاً مقبلاً من البرية على حمار، فركب فرسه، واستقبله، فسلم عليه، فقال: من أين؟ وإلى أين؟.

قال: أتيت من أرض لها عشرون سنة مجدبة، وقد أخصبت في هذه السنة، فزرعتها مقثأة (نوع من النبات ثمره يشبه ثمر الخيار) فأخرجت القثاء في غير أوان، فجمعت منها ما استحسنته، وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور، وفضله المشهور، ومعروفه المأثور، وإحسانه الموفور.

قال: وكم أملت منه؟ قال: ألف دينار قال: فإن قال لك كثير؟ قال: خمسمائة. قال: فإن قال: كثير؟ قال: ثلاثمائة، قال: فإن قال لك كثير؟ قال: مائة.

فما زال به حتى قال: لا أقل من الثلاثين، قال: فإن قال لك: كثير؟ قال: أدخل قوائم حماري في عينيه، وأرجع إلى أهلي خائباً!.

فضحك معن، وساق جواده حتى لحق بأصحابه، ونزل في منزله، وقال لحاجبه: إذا أتاك شيخ على حمار بقثاء، فادخل به عليّ.

فأتى الرجل بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه، لهيبته وجلاله، وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في دَستِه (صدر البيت أو المجلس «كلمة فارسية») والخدم قيام عن يمينه وشماله وبين يديه.

فلما سلم عليه قال: ما الذي أتى بك أخا العرب؟ قال: أمَّلت الأمير، وأتيته بقثاء في غير أوان! فقال: كمْ أملت فينا؟ قال: ألف دينار، قال: كثير، فقال في نفسه: والله لقد كان ذلك الرجل شؤماً عليّ!! ثم قال: خمسمائة دينار، فقال: كثير! ثم ما زال به إلى أن قال: خمسين ديناراً. فقال له: كثير، فقال: لا أقل من الثلاثين، فضحك معن.

فعلم الأعرابي أنه صاحبه، فقال له: يا سيدي إن لم تجب إلى الثلاثين فالحمار بالباب، وها هو ذا معن جالس.

*****

● نزل شيخٌ أعرابي من بني نهشل يكنى أبا الأغرّ على بنت أخت له من قريش بالبصرة، وذلك في شهر رمضان، فخرج الناس إلى ضياعهم، وخرج النساء يصلين في المسجد، ولم يبق في الدار إلا الإماء، فدخل كلب فرأى بيتاً فدخله، وانصفق الباب، فسمع الإمام الحركة فظن لصاً دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فأخذ عصاً ووقف على باب البيت، فقال: إيهاً والله! إني بك لعارف، فهل أنت من لصوص بني

مازن، وشربت نبيذاً حامضاً خبيثاً حتى إذا دارت الأقداح في رأسك منتك نفسك الأماني، فقلت: أطرقُ دور بني عمرو، والرجال خلوف، والنساء يصلين في مسجدهن فأسرقهن، سوءة لك! والله ما يفعل هذا حرٌّ، بئسما منتك نفسك! فاخرج بالعفو عنك، وإلا دخلت بالعقوبة عليك، وأيم الله! لتخرجنّ أو لأهتفن هتفة يلتقي فيها الحيان عمرو وحنظلة، ويصير زيد زيداً، وتجيء سعد بعدد الحصى، وتسيل عليك الرجال من ها هنا وها هنا، ولئن فعلت لتكوننّ أشأم مولود في بني تميم.

فلما رأى أنه لا يجيبه، أخذه باللين، فقال: اخرج بأبي أنت وأمي منصوراً مستوراً، وإني والله ما أراك تعرفني، ولئن عرفتني لوثقت بقولي واطمأننت إليّ، أنا أبو الأغر النهشليّ، وأنا خال القوم، وجلدة ما بين أعينهم، لا يعصون لي رأياً، وأنا خفير كفيل أجعلك شحمة بين أذني وعاتقي، فاخرج فأنت في ذمتي، وإلا فعندي قوصرتان (وعاء التمر)، أهداهما إليَّ ابن أختي البار الوصول، فخذ إحداهما حلالاً من الله.

وكان الكلب إذا سمع هذا الكلام أطرق، وإذا سكت وثب يريد الخروج، فتهافت أبو الأغر ثم قال: يا ألأم الناس، أراني بك الليلة في وادٍ وأنت في آخر، وأنت في داري، أقلِّبُ البيضاء والصفراء، فتصيح وتطرق، وإذا سكت عنك وثبت تريد الخروج، والله لتخرجنّ أو لألجنَّ عليك..

فلما طال وقوفه، جاءت جاريةٌ وقالت: أعرابي مجنون! والله ما أرى في البيت أحداً، ودفعت الباب، فخرج الكلب مبادراً، ووقع أبو الأغرّ مُستلقياً، فقلن له: قم ويحك! فإنه كلب، فقال: الحمدُ لله الذي مسخهُ كلباً، وكفى العرب حرباً.

*****

● خطب أحد الأعراب في عمل وَلِيَهُ فقال في خطبته:

إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر، فقيل له: في ستة أيام.

فقال: والله أردت أن أقولها ولكن استقللتها!

*****

● أهدى وزير إلى حسن الآلاتي حذاء في يوم عيد، فأرسل إليه يشكره بقوله: كل شخص يحشر يوم القيامة تحت ظل صدقته.

*****

● قال أبو جعفر محمد بن جعفر البرتي: مررت بسائل على الجسر وهو يقول: مسكيناً ضريراً، فدفعت إليه قطعة وقلت له: لِمَ نصبتَ؟ فقال: فديتك، بإضمار ارحموا.

*****

● قيل: إن أعرابياً رفع قصة إلى المأمون، وسأله أن يأذن له في الدخول عليه، للاستماع منه، فأذن له، فدخل فسلّم، فقال المأمون: تكلّم بحاجتك؟

قال: أخبر أمير المؤمنين أن مصائب الدّهر؛ وأعاجيب الأيام، ومحن الزّمن قصدتني، فأخذت منّي ما كانت الدنيا أعطتني، فلم تبق لي ضيعةٌ إلاَ خربتِ، ولا نهر إلا اندقر (أي فاض) ولا منزل إلا تهدّم، ولا مالٌ إلا ذهب، وقد أصبحت لا أملك سبداً ولا لبداً (أي الشعر والصوف) ولي

عيال وأطفال وصبية صغار، وأنا شيخ كبير، قد قعَدت بي المطالب، وكبرت عنّي المكاسب، وبي حاجة إلى أمير المؤمنين وعطفه.

قال: فبينما هو في الكلام إذ خرج منه صوت، فقال: وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدّهر ومحنته، ولا والله ما ظهر منّي قطّ إلاّ في موضعه، فقال المأمون لجلسائه: ما رأيت قطّ أقوى قلباً ولا أربط جأشاً ولا أشدّ نفساً من هذا الرجل، ثمَّ أمر له بخمسين ألف درهم معجّلة..

*****

● رُوي عن إياس بن معاوية أنه قال: ما غلبني أحدٌ سوى رجل واحد، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليَّ رجلٌ شهد عندي أنّ البستان الفلاني ـ وذكر حدوده ـ هو ملك فلان، فقلت له: كم عدد شجره؟ فسكت، ثمّ قال: منذ كم يحكم سيّدنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذ كذا. فقال: كم عدد خشب سقفه؟ فقلت له: الحقّ معك، وأجزت شهادته.

*****

● حضر أعرابي سفرة سليمان بن عبدالملك فجعل يمر إلى ما بين يديه فقال له الحاجب: مما يليك فكل يا أعرابي، فقال: من أجدب انتجع، فشق ذلك على سليمان وقال للحاجب: إذا خرج عنا فلا يعد إلينا.

*****

● شهد بعد هذا سفرته أعرابي آخر فمر إلى ما بين يديه أيضاً فقال له الحاجب: مما يليك فكل يا أعرابي، قال من أخصب تخير، فأعجب ذلك سليمان فقربه وأكرمه وقضى حوائجه.

*****

● حضر أعرابي سفرة سليمان بن عبدالملك فلما أتى بالفالوذج جعل يسرع فيه فقال سليمان: أتدري ما تأكل يا أعرابي؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين؛ إني لأجد ريقاً هنيئاً، ومزدردًا لينًا، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه، فضحك سليمان وقال: أزيدك منه يا أعرابي، فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ!! قال: كذبوك يا أمير المؤمنين لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل.

*****

● ادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين، فجعل القاضي يميل إليها بالحكم.

فقال الرجل: أصلح الله القاضي، حجتي أوضح من هذا النهار.

فقال له القاضي: اسكت يا عدو الله، فإن الشمس أوضح من النهار، قم لا حق لك عليها.

فقالت المرأة: جزاك الله عن ضعفي خيراً، فقد قويته.

فقال الرجل: لا جزاك الله خيرًا عن قوتي فقد أوهيتها.

*****

● قال الرياش: خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال رمضان، فرآه رجل منهم، ولم يزل يومئ إليه حتى رآه غيره وعاينوه، فلما كان هلال الفطر جاء أحدهم إلى ذلك الرجل فدق عليه الباب وقال له: تعال أخرجنا مما أدخلتنا فيه.

*****

● استدعى بعضُ الخلفاء شُعراء مصر، فصادفهم شاعر فقير بيده جرة فارغة ذاهباً بها إلى البحر ليملأها ماء فتبعهم إلى أن وصلوا إلى دار الخليفة، فبالغ الخليفة في إكرامهم والإنعام عليهم، ورأى ذلك الرجل والجرة على كتفه، ونظر إلي ثيابه الرَّثَّة وقال: من أنت؟ وما حاجتك؟ فأنشد:

ولما رأيت القوم شدُّوا رحالهم
إلى بحرك الطامي أتيت بجرتي

فقال الخليفة: املؤوا له الجرة ذهباً وفضة، فحسده بعض الحاضرين وقالوا: هذا فقير مجنون لا يعرف قيمة هذا المال، وربما أتلفه وضيعه. فقال الخليفة: هو ماله يفعل به ما شاء. فملئت له ذهباً، وخرج إلى الباب، ففرق جميع المال. وبلغ الخليفة ذلك، فاستدعاه وعاتبه على ذلك. فقال:

يجودُ علينا الخيرون بمالهم
ونحن بمال الخيرين نجود

فأعجبه ذلك، وأمر أن تملأ له عشر مرَّات، وقال: الحسنة بعشر أمثالها.

*****

● حكي أن الحجاج طاف ليلة فظفر بثلاثة رجال ثملين فقال:

من أنتم؟

فأجاب أحدهم:

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره

وإن نزلت يوماً فسوف تعودُ

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره

فمنهم قيام حولها وقعودُ

وأجاب الثاني:

أنا ابن من دانت الرقاب له

ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه بالرغم وهي صاغرة

يأخذ من مالها ومن دمها

وأجاب الثالث:

أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه

وقوَّمها بالسيف حتى استقامت

رجلاه لا تنفك ركباه عنهما

إذا الخيل في يوم الكريهة ولتِ

فأطلقهم، ثم استقصى الحجاج عن آبائهم فإذا أبو الأول طباخ، وأبو الثاني حجام، وأبو الثالث حائك.. فقال: لله درهم، أطلقوهم لفصاحتهم.

*****

● قال أبو إسحاق الجهمي: لما صرف الحجاج قال لغلام له: تعال نتنكر وننظر ما لنا عند الناس، فتنكرا وخرجا، فمرا على المطلب غلام أبي لهب، فقالا: يا هذا! أي شيء على الحجاج؟ قال: على الحجاج لعنة الله. قالا: فمتى يخرج؟ قال: أخرج الله روحه من بين جنبيه ما يدريني. قال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج بن يوسف. قال المطلب: أتعرفني أنت؟؟ قال: لا. قال: أنا المطلب غلام أبي لهب، معروف، أصرع في كل شهر ثلاثة أيام أولها اليوم، فتركه ومضى.

*****

● اشترى أعرابي غلاماً فقيل للبائع هل فيه من عيب؟ قال: لا؛ إلا أنه يبول في الفراش. قال: هذا ليس بعيب، إن وجد فراشاً فليبل فيه.

*****

● ومر أعرابي بقوم وهو ينشد ابنًا له، فقالوا له: صفه. قال: كأنه دنينير قالوا: لم نره، ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي وعلى عنقه جعل، فقالوا: هذا الذي قلت فيه دنينير؟! قال: القرنبي في عين أمها حسناء.

*****

● كان رجل اسمه «أبو علقمة» من المتقعِّرين في اللغة واستعمال وحشي الكلام وغريب اللفظ، دخل على الطبيب فقال:

إني أكلتُ من لحوم هذه الجوازل فطسئتُ طسأة، فأصابني وجع بين الوابلة إلى دأية العنق، فلم يزل يربو وينمى، حتى خالط الخلب فألمت له

الشـراسف، فـهل عندك دواء؟ فـقـال لـه الطبـيـب: خـذ خـريقـاً وشلفـقـاً وشبرقاً، فزهـزقه وزقزقه واغسله بماء روث واشـربه بماء الماء!

فـقـال أبو علقـمـة: أعـد عليَّ ويحكَ، فـإنّي لم أفـهم منك! فـقـال له الطبيب: قاتل الله أقلّنا إفهاماً لصاحبه، وهل فهمتُ منك شيئاً مما قلت؟!

*****

● هرعت الطفلة إلى أمّها وقالت:

أمّي، ما اسم الحفرة التي أمام بيتنا؟

فقالت الأمّ:

أنا مشغولة بالطبخ، اذهبي واسألي أباك!

فذهبت الطفلة إلى أبيها وقالت له:

أبي! ما اسم الحفرة التي أمام بيتنا؟

قال الأب: أنا أقرأ الجريدة! اذهبي واسألي أختك!

فذهبت إلى أختها وسألتها:

أختي! ما اسم الحفرة التي أمام بيتنا؟

فأجابت:

اسمها بير.

فقالت الطفلة:

اسرعي! أختي الصغيرة وقعت في البير.

*****

• جلس العريس مع عروسه في غرفة النوم، وأخذ يحدّثها عن والدته، ولمّا أطال حديثه ضاقت العروس ذرعاً، فقالت غاضبة:

ألا يمكنك أن تفعل شيئاً سوى التحدّث عن والدتك؟

فقال:

بلى، عندما انتهي سأحدّثك عن والدي.

*****

• قيل: خرج جماعة من قريش في تجارة لهم، وخرج معهم أعرابي من بني غفار، فهبت عليهم ريح عاصفة يئسوا معها من الحياة، وقرروا أن يحرر كل واحد منهم عبداً من عبيده قبيل أن يموت، ولم يكن للأعرابي عبدٌ، فوقف وقال: اللهمَّ لا عبد لي لأحرره، ولكن امرأتي طالق لوجهك ثلاثاً..

*****

• التقت امرأة برجل متعمم يركب حماراً، وكان معها رسالة تود قراءتها فاستوقفته وناولته الرسالة وطلبت إليه أن يقرأها لها.

فاعتذر قائلاً: إنني أجهل القراءة.

فتعجبت وقالت: متعمم وتجهل القراءة؟!

وما كان من الشيخ عندئذ إلا أن وضع العمامة على رأس الحمار وقال: تفضل يا حمار اقرأ الرسالة.

*****

● قال شوقي في مداعبة صديقه الدكتور محجوب ثابت، ووصف عيادته الطبية التي كانت بحي السيدة زينب:

براغيث محجوب لم أنسها
ولم أنس ما طعمت من فمي

تشق خراطيمها جوربي
وتنفذ في اللحم والأعظم

وكنت إذا الصيف راح احتجـ
ـمت فجاء الخريف فلم أحجم

ترحب بالضيف فوق الطريـ
ـق فباب العيادة فالسُّلَم

قد انتثرت جوقة جوقة
كما رشّت الأرض بالسمسم

وترقص رقص المواسي الحداد
على الجلد والعَلَقِ الأسحم

بواكير تطلع قبل الشتاء
وترفع ألوية الموسم

إذا ما ابن سينا رمى بلغماً
رأيت البراغيث في البلغم

وتبصرها حول «بيبا» الرئيس
وفي شاربيه وحول الفم

وبين حـــــافـــــائر أسنانه
مع السُّــــوس في طلب المطعم

*****

● قال الشافعي:

كنّا في اليمن، فوضعنا سُفرتنا لنتعشّى، وحضرت صلاة المغرب، فقمنا نُصلّي ثم نتعشّى، فتركنا السفرة كما هي، وقمنا إلى الصلاة، وكان فيها دجاجتان، فجاء ثعلب، فأخذ إحدى الدجاجتين. فلمّا قضينا الصلاة أسفنا عليها، وقلنا: حُرمنا طعامنا.

فبينما نحن كذلك إذ جاء ثعلب، وفي فمه شيء كأنه الدجاجة فوضعه فبادرنا إليه لنأخذه، ونحن نحسبه الدجاجة قد ردّها. فلمّا قمنا، جاء إلى الأخرى، وأخذها من السفرة وأصبنا الذي قمنا إليه لأخذه، فإذا هو ليف قد هيّأه مثل الدجاجة.

*****

● دخلت سيّدة لتواسي جارتها التي فقدت زوجها، فقالت لها:

كيف مات زوجك؟

فقالت:

ذهب إلى الدكان ليشتري ربطة معكرونة للطبخ، فدهسته سيّارة، فمات على الفور.

فقالت معزّية:

مسكينة، وماذا فعلت؟

قالت:

ماذا أفعل؟ طبخت كوسا محشي.

*****

● قيل: رؤي أعرابي يغطس في البحر ومعه خيط، وكلما غطس غطسة عقد عقدة، فقيل له: ما هذا؟ قال: جنابات الشتاء أقضيها في الصيف.

*****

● قيل: حضر أعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل، فقيل له: يا أبا أمامة، أتقوم الليل؟ قال: نعم، قالوا: ما تصنع؟ قال: أبولُ وأرجع أنام..

*****

● تكلم شاب يوماً عند الشعبي، فقال الشعبي: ما سمعنا بهذا، فقال الشاب: كل العلم سمعت؟ قال: لا. قال: فشطره؟ قال: لا. قال: فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه، فأفحم الشعبي.

*****

● تقدمت امرأة إلى قاض، فقال لها: جامعك شهودك، فسكتت. فقال كاتبه: إن القاضي يقول لك: جاء شهودك معك؟ فقالت: نعم، هلا قلت أيها القاضي مثل ما قال كاتبك، كبر سنك، وقل عقلك، ما رأيت ميتاً يقضي بين الأحياء غيرك؟!

*****

● نزل عبدالله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد دجنت عندها، فذبحتها وجاءت بها إليه فقالت: يا أبا جعفر، هذه دجاجة لي كنت أدجنها وأعلفها من قوتي وألمسها في آناء الليل فكأنما ألمس بنتي زلت عن كبدي فنذرت الله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك فأردت أن أدفنها فيه فضحك عبدالله بن جعفر، وأمر لها بخمسمائة درهم.

*****

● قال أبو زيد: رأيت أعرابياً كأن أنفه كوز من عظمه فرآنا نضحك منه فقال: ما يضحككم، فوالله لقد كنت في قوم ما كنت فيهم إلا أفطس.

*****

● أرسل حافظ إبراهيم إلى صديقه وجاره حامد سرى في يوم زفافه يستهديه من طعام العرس، وثيابا يلبسها:

أحامد كيف تنساني وبيني
وبينك يا أخي صلة الجوار؟
أيشبع مصطفى الخولي وأمسي
أعالج جوعتي في كسر داري
وبيتي فارغ لا شيء فيه
سواي وإنني في البيت عاري
ومالي (جزمة) سوداء حتى
أوافيكم على قرب المزار

وعندي من صحابي الآن رهط
إذا أكلوا فآساد ضواري
فإن لم تبعثنّ إليّ حالاً
بمائدة على متن البخار
تغطيها مَن الحلوى صنوف
ومن حمل تتبًل بالبهار
فإني شاعر يُخشى لساني
وسوف أريك عاقبة احتقاري

*****

● استضاف سعد زغلول في مصيفه بعض أصدقائه، وكان فيهم حافظ إبراهيم والدكتور محجوب ثابت، فأصبح الدكتور يوماً يروي لهم حلما رآه ليلته، فسأله سعد عن الحلم، فقال: رأيتني راكباً جملاً كبيراً، ومن خلفه عدد كبير من الحمير، ثم جاءني رجل ومعه رسالة من شخص عظيم، وأعطاني إياها.

فنظر سعد إلى حافظ وقال له: فسِّر لنا هذا الحلم يا حافظ.

قال حافظ: أما الجمل الذي يركبه فهو كرسي مجلس النواب، وأما الرسالة فهي تكليف بتوليه وزارة الصحة ـ وكان يتطلع إليها ـ، وأما الحمير فهم الذين انتخبوه في مجلس النواب.

*****

• يروى أن الحافظ ابن حجر العسقلاني خرج في موكب عظيم وهيئة جميلة راكباً بغلته إذ هجم عليه يهودي زيات وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة.. فقبض على لجام البغلة، وقال: يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**».. فأي سجن أنت فيه، وأي جنة أنا فيها؟!

فقال الحافظ ابن حجر: صحيح.. أنت في تعاستك وبؤسك تعتبر في جنة مما ينتظرك في الآخرة من النكال والعذاب المهين، وأنا رغم هذه الأبهة إن أدخلني الله الجنة فيعتبر هذا سجن بالنسبة لما ينتظرني في الجنة.

*****

• حضر أعرابي على مائدة يزيد بن مزيد، فقال لأصحابه: أفرجوا لأخيكم، فقال الأعرابي: لا حاجة لي بإفراجكم إن أطنابي طوال (يعني سواعده) فلما مدّ يده (أخرج صوتا) فضحك يزيد وقال: يا أخا العرب، أظن أن طنباً من أطنابك قد انقطع.

*****

• خطب المنصور في جماعة في الشام فقال:

أيها الناس ينبغي أن تحمدوا الله على ما وهبكم، فإني منذ وليتكم أبعد الله عنكم الطاعون الذي كان يفتك بكم.

فقال له أحدهم: إن الله أكرم من أن يجمع علينا، في وقت واحد، الطاعون وأنت.

*****

● لما مات السفاح وخلفه أخوه المنصور وكان يبغضه ويكرهه.. رثاه أبو دلامة فحقد عليه المنصور.

فقال له أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، إنه هو الذي جاء بي من البدو كما قال الله تعالى في قصة يوسف.. فقل أنت كما قال يوسف: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾.

فقال له المنصور: إذن فأعدَّ نفسك للغزو.

قال أبو دلامة: والله لا أصلح له لأني مشئوم الطلعة!!

فقال المنصور: ويلك.. أبلغت بك الجرأة إلى إتهام نفسك بالشؤم لتهرب من الغزو؟!

قال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، أنا أعرف نفسي، والله لقد شهدت تسع عشرة معركة فكانت الهزيمة نصيبها، والفشل الذريع يصاحبها.. فإن شئت أن تجرب حظك وتجعل جيشك ختام العشرين فافعل!!.

*****

● قيل لأعرابي: أي وقت تحب أن تموت؟ قال: إن كان ولا بد فأول يوم من رمضان.

*****

● دخل الطبيب غرفة الكشف، وترك الزوج واقفاً بقلق خارج الغرفة.

وبعد دقيقتين خرج الطبيب وطلب سكيناً كبيرة! فاعتذر الزوج بعدم وجودها لديهم!

ودخل الطبيب الغرفة مرة أخرى، وخرج بعد مرور خمس دقائق، وطلب هذه المرة مطرقة مع مفك!

فذهب الزوج، وأحضرهما بسرعة، وكان في حالة شديدة من الذعر!

ودخل الطبيب الغرفة ليعود بعد خمس دقائق قائلاً:

أنا متأسف.. أعتقد أنني بحاجة إلى منشار!

فرد الزوج المسكين قائلاً:

أسألك بالله يا دكتور، هل يمكن نقل زوجتي إلى المستشفى إذا كانت بهذه الدرجة من الخطورة؟!

فأجاب الطبيب:

كلا.. إنني فقط حاولت جاهداً فتح حقيبتي!

*****

• دخل رجل على كافور الإخشيدي صاحب مصر ودعا له وقال في دعائه: أدام الله إيام مولانا (بكسر الميم في أيام).

فأخذ عليه السامعون هذ اللحن في معرض الدعاء واستنكروه، وعابوه عليه فقام أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله اللغوي من بين الحاضرين يدافع عن هذا اللحن إنقاذاً للموقف وقال:

لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا

أو غص من دهش بالريق أو بهر

فـتلك هيـبـتـه حـالت جـلالتـهـا
بين الأديب وبين القـول بالحـصـر
فـإن يكن خـفض الأيام من غلط
في مـوضع النصب لا عن قلة النظر
فـقـد تفـاءلت من هذا لسـيدنا
والفـأل نؤثره عن سـيـد البـشـر
بـأن أيـامـه خـفض بلا نصب
وأن أوقـاتـه صـفـو بلا كـدر

فقال كافور: لا فض فوك.. فقد قطعت بهذا الرد الجامع والجواب المقنع القاطع ألسنة.

*****

● سأل رجل فقيهاً عن الخمر؛ أحلال هي أم حرام؟

فقال له: حرام.

قال الرجل: ما تقول في العنب والزبيب والتمر، أحلال هنّ أم حرام؟

قال: حلال.

قال: فما تقول في السُّكَّر والقَند والعَسَل؟

قال: حلال.

قال: فأيّ شيءٍ حلل هذا، وحرم هذا؟

قال الفقيه: أرأيت لو أخذت كفاً من تراب فلطمت به وجهك أو صدرك، أكان يؤلمك؟

قال: لا.

قال: فلو أخذت كفّاً من ماء فلطمت به وجهك أو صدرك، أكان يؤلمك؟

قال: لا.

قال: فلو أخذت كفاً من تبن فلطمت به وجهك أو صدرك أو ظهرك، أكان يؤلمك؟

قال: لا.

قال: فإن أخذت التراب والماء والتبن، فجمعتها وجبلتها ووضعتها في الشمس أياماً ثم ضربت بهن وجهك، أكان يؤلمك؟

قال: نعم.

قال: فهكذا؛ إذا جمع هذا وعتق حُرِّمَ، وإذا جمع هذا وعتق آلم.

*****

● قيل: إنّ الشيخ مجد الدين ابن دقيق العيد كان كثير الإحسان إلى أصحابه، يسعى لهم على قدر استحقاقهم فيمن يصلح للحكم، وفيمن يصلح للعدالة. فجاءه بعض طلبته وشكا إليه رقّة حاله وكثرة الضرورة، فقال له: اكتب قصّتك وأنا أتحدّث مع الوالد. فكتب ذلك الطالب: المملوك

فلان يقبّل الأرض وينهي أنه فقير ومظرور (بالظاء القائمة) وقليل الحضّ (بالضاد)، وناولها للشيخ. فلمّا قرأه تبسّم وقال: يا فقير، سبحان الله ضرك قائم وحظك ساقط.

*****

● جلس الشاعران الزهاوي والرصاف يأكلان ثريداً فوقه دجاجة محمرة. وبعد قليل مالت الدجاجة ناحية الزهاوي. فقال: عرف الخير أهله فتقدم... فقال الرصافي: كثر النبش تحته فتهدم!

*****

● زار الخليفة المعتصم خاقان في مرضه.. فبدا للخليفة أن يمتحن بديهة ولده الفتح، ويختبر ذكاءه، وتأثير سِنِّه على عقله.. فقال له: يا فتح، داري أحسن أم دار أبيك؟

فأجاب الفتح: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فهي أحسن.

فقال الخليفة: نعم الجواب الحاضر جوابك يا فتح.

*****

● وهذه مقطوعة موجزه لابن دانيال يشكو فيها من الزواج، ويصف حاله وزوجه فيقول:

بك أشكو من زوجة صيرتني
غائباً بين سائر الحضارِ
غيبتني عني بما أطعمتني
فأنا الدهر مفكر في انتظارِ

غبت حتى لو أنهم صفعوني
قلت: بالله كفوا عن صفع جاري
فنهاري من البلادة ليل
في التساوي، والليل مثل النهارِ
دار رأسي عن باب داري فبا
لله أخبروني يا سادتي أين داري؟

*****

● قال أعرابي للأحنف: بم سوّدك قومك يا أحنف، وما أنت بأشرفهم بيتاً، ولا أصبحهم وجهاً، ولا أحسنهم خلقاً؟

فقال الأحنف: سوَّدني في قومي ما ليس فيك يا ابن أخي.

قال الأعرابي: وماذا عسى أن يكون هذا الذي فيك؟

فأجاب الأحنف: ذلك تركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

*****

● كان الشاعران شوقي وحافظ يسيران سوية في أحد شوارع العاصمة، فأراد حافظ استعمال القول اللاذع بعد أن يغلفه باللفظ البريء في ظاهره، فانبرى يستوضح ويستعلم ماكراً ومذكراً ببيت شعر نظمه في رفيقه:

يقولون إن الشوق نار ولهفة
فما بال شوقي أصبح اليوم بارداً؟

ولم يسكت شوقي عن هذا النعت المهين وأضمر الثأر. فلما بلغ الاثنان منزل صديقهما أبصر شوقي طفلاً ينتعل حذاء جديداً. فدعاه وداعبه ونصحه بعذوبة وبراءة «حافظ على جزمتك يا ابني».

*****

• بعد أن أنهى الطبيب فحص الزوجة، تقدم نحو الزوج وقال بصوت منخفض:

عفواً.. إن أعراض زوجتك وهمية فقط، وقد كتبت لها أدوية وهمية!

وهنا بادر الزوج:

ما دامت الأعراض وهمية، والعلاج وهمياً، فلتكن أتعابك وهمية إذن!

وخرج من غرفة الطبيب!

*****

• من جميل ما نُظم في شهر رمضان للشاعر علي الجواهري تحت عنوان «رمضان والافلاس»، وقد جاءت أبياتها ارتجالاً، وبأسلوب هزلي، وذلك في شتاء عام ١٩٣٠م، وقد حوت ألفاظاً دارجة؛ إذ يقول وبروح كلها ظرف ومرح:

سمعاً بياني أيها الثقلان

ما يصنع الإنسان في رمضان؟!

إني ومن خلق الأنام لحائر

في عيشتي فيه وفي دياني

لم ألق إلا في السحور فطوره
فمتى تظن سحوره يلقاني؟!
تالله ما ذقت (الكباب) وما رأت
عيناي شكل (حلاوة وفران)

ومنها:

أما (الدجاج) فما سمعت بذكره
وأخاله لفظاً بغير معاني
وكذلك (السبزي) طيب ريحه
ما شمه أنفي بطول زماني

ومنها:

في ليلة القدر (المذبذب) أكلها
حتى الكلاب تذوق لحم الضان
وأنا بها طاوٍ أبيت وإنما
من جوعه غنَّى به (مُصراني)

*****

● أمر زياد بضرب رجلٍ، فقال: أيها الأمير إن لي بك حرمة. قال: وما هي؟ قال: إن أبي جارك بالبصرة. قال: ومن أبوك؟ قال: يا مولاي إني نسيت اسم نفسي، فكيف لا أنسى اسم أبي؟ فرد زياد كُمَّهُ على فمه، وضحك وعفا عنه.

*****

● قال أمير الشعراء:

لَمَّا دَعَا داعِي أبي الأشبالِ
مُبشِّراً بأوّلِ الأنجالِ

سعتْ سباعُ الأرض والسماءِ
وانعقَد المجلسُ للهَناءِ

وصَدَرَ المرسومُ بالأمانِ
في الأرضِ للقاصي بها والدَّاني

فضاقَ بالذيولِ صحنُ الدار
من كلٍّ ذي صُوفٍ وذي مِنقار

حتى إذا استكملت الجمعيَّهْ
نادى منادي اللَّيْث في المَعيَّهْ

هل من خطيبٍ محسنٍ خبيرِ
يدعو بطول العمر للأمير ؟

فَنَهضَ الفيلُ المشيرُ السامي
وقال ما يليقُ بالمقام

ثم تلاه الثَّعْلَبُ السفيرُ
يُنشدُ ، حتى قيلَ : ذا جرير

واندفعَ القردُ مديرُ الكاسِ
فقيل : أحسنتَ أبا نُواس!

وأوْمــأ الحِــمــارُ بالعــقــيــره
يـريدُ أن يُشــرِّفَ العـــشـــيــره
فــقــال : باسم خــالقِ الشــعــيـرِ
وباعثِ العــصــا إلى الحــمــيــر !
فـــأزعجَ الصَّــوتُ وَلِيَّ العَــهــدِ
فــمــاتَ من رِعْــدَتهِ في المَهــد
فــحــمَلَ القــومُ على الحِــمــارِ
بجُــملةِ الأنيــابِ والأظفــار
وانتُــدبَ الثَّــعْلَبُ للتــأبينِ
فــقــال في التــعــريضِ بالمسكين:
لا جَــعــلَ اللهُ لهُ قــرارا
عــاشَ حِــمــاراً ومــضى حــمــارا!

*****

● جاءت إمرأة إلى قراقوش، وشكت إليه ابنها، وقالت: إنّه يخالفها. فحبسه، وحلف بأنه لا يطلقه إلا بعد سنة.

فلمّا توجهت المرأة إلى بيتها عَسُرَ عليها ولدها.

فجاءت ذات يوم للحاشية، وسألت إطلاقه، ودفعت لهم بعض مال.

فقالوا لها:

اكتبي قصتّه واذكري فيها أنَّ السنة انقضت، ونحن نساعدك.

ففعلت ذلك.

فلما قرأها قراقوش قال لها:

أنت تكذبين! بقي من السنة اليوم خاصة وفي غد نطلقه إن شاء الله.

فقالت:

الأمر أمركم، وخرجت على ذلك.

*****

• سابق قراقوش مع كردي على فرس فسبقه الكردي.

فقال للسائس، محاولاً عقاب الفرس:

لا تطعم الفرس شيئاً في هذا الأسبوع.

فقال له:

سيموت!

فقال له ثانياً:

حسناً أطعمه، ولا تقل لي إنّي قلت على ذلك حتى لا يبقى يظنّ أننا حلفنا باطلاً.

*****

• دخل زيد بن علي على هشام بن عبدالملك وكان ذلك بالرصافة.. فلم يجد موضعاً يقعد فيه، فعلم أن ذلك فعل به على عمد..

فقال زيد: يا أمير المؤمنين، اتق الله.

قال: أومثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؟!

قال زيد: إنه لا يكبر أحد فوق تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله.

فقال له هشام: بلغني يا زيد أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة؟

فقال زيد: أما أني أحدّث نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب إلا الله، وأما قولك: إني ابن أمة، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة ومن صُلبه خير البشر محمدﷺ، وهذا إسحاق بن حرة ليس ابن أمة، ومن صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت.

قال له: قم.

قال: إذن لا تراني إلا حيث تكره.

*****

● ومن الدعابات اللطيفة ما رواه الحصري في كتابه جمع الجواهر، في الملح والنوادر، المسمى بذيل زهر الآداب. قال:

ماتت حمادة بنت علي بن عبدالله بن عباس، فصار المنصور إلى شفير قبرها ينتظر الجنازة، وكان أبو دلامة حاضراً، فقال:

ما أعددت لهذه الحفرة يا أبا دلامة؟

فقال:

عمة أمير المؤمنين يؤتي بها الساعة.

*****

● ركب الرشيد وجعفر بن يحيى عن يساره.. فالتقى الرشيد في طريقه بأحمال ثقيلة مقبلة، فسأل عنها؟

فقالوا له: هذه هدايا خراسان من علي بن عيسى بن ماهان ـ وكان الرشيد ولاه عليها بعد الفضل بن يحيى ـ فالتفت الرشيد إلى جعفر وقال له: أين كانت هذه الهدايا يا جعفر أيام أخيك؟!

فقال جعفر: كانت في منازل أصحابها يا أمير المؤمنين!!

*****

● ومن لطيف الدعابة التي تدل على ذكاء وقاد وحسن تصرف، مع ألد عدوين من النساء وهما الضرتان ولا ريب.. ما رواه صاحب كتاب الأذكياء، إذ قال:

تزوج نُصيب الشاعر على زوجته أم محجن، ثم أراد أن يجمع بين زوجتيه، ليصلح بينهما. فقال لأم محجن: إني أكره أن ترى بك زوجتي الجديدة خصاصة وفقراً، فخذي هذا الدينار، واعملي لها غداء به.

وأتى إلى زوجته الجديدة وقال لها: سأجمعك بأم محجن، وهي ستكرمك، وأكره أن تدخلي عليها خالية، فتظن أنك فقيرة محتاجة، فخذي هذا الدينار، وأهدي إليها شيئاً به. وأمر كلاً منهما أن تكتم خبر دينارها.

ثم قال لصاحب له: غداً سأجمع زوجتيَّ فتعال إلي مسلماً، فإني سأستبقيك للغداء، فإذا تغديت فسلني عن أحبهما إليّ.

فلما كان الغد زارت زوجته الجديدة أم محجن، وحضر صديقه، فلما تغدوا قال له صديقه: أحب أن تخبرني عن أحب زوجتيك إليك. فقال له: سبحان الله، أفتسألني عن هذا، وهما تسمعان؟. قال: فإني أقسم عليك لتخبرني. فقال نصيب: أحبهما إليّ صاحبه الدينار. والله لا أزيدك على هذا شيئاً.

فامتلأت نفس كل منهما سروراً، وهي تظن أنه قصدها وحدها.

*****

● شيد محمد بن عمران بناء شامخاً إلى جانب قصر عبدالله المأمون.. فحقد عليه الكاشحون، ومشوا بالسعاية به عند المأمون حتى أوغروا صدره عليه وقالوا له: يا أمير المؤمنين، إن محمداً شيد قصراً إزاء قصرك تحديًا لك، وتشبهاً بك.

فجاء به المأمون بين يديه وقال له: ما هذه الجرأة يا محمد؟ أتتحداني ببناء قصرك إلى جواري؟

فأجاب محمد بن عمران: يا أمير المؤمنين، لا تنس قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾، والله ما شيدت داري للمشابهة، ولا للتحدي يا أمير المؤمنين، ولا للمباهاة والتفاخر، ولكن لترى بعينيك آثار نعمتك وأياديك عليَّ.

*****

• قيل: كان أعرابي يصلي، فأخذ بعض الناس يمدحونه ويصفونه بالصلاح والتقوى، فقطع صلاته وقال: وفوق ذلك أنا صائم..

*****

• قال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك: كان عندنا رجل يكنى أبا نصر من جهينة ذاهب العقل في غير ما الناس فيه، يجلس مع أهل الصفة في آخر مسجد رسول الله ﷺ فأتيته يوماً فقلت (له): ما الشرف؟ قال: حمل ما ناب العشيرة، والقبول من محسنها، والتجاوز عن مسيئها، قلتك ما المروءة؟ قال: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وتوقى الأدناس، قلت: ما السخاء؟ قال: جهد مقل، قلت: فما البخل؟ قال: أف، وحول وجهه عني، قلت: أجبني؟ قال: قد أجبتك.

*****

• ناظر رجل مجموعة من الملاحدة الذين يقولون بالصدفة وينكرون وجود الله عز وجل.. فلما طالت المناظرة وكثر الجدل دعاهم إلى لقاء آخر لإكمالها على أن يكون هناك شهود يحكمون من تكون له الغلبة.

ولما حان موعد اللقاء الجديد جاء متأخراً والجميع ينتظرون.. فأخذوا يلومونه.

الرجل: دعوني أشرح لكم ما الذي أخرني فلعل لي عذراً.. تعلمون أني أقيم في الطرف الآخر من المدينة حيث يفصل النهر بيننا، وحين وصلت النهر لأعبره إليكم لم أجد سفينة تحملني فكان هذا هو سبب التأخير.

الملاحدة: وكيف جئت بعد أن لم تجد سفينة؟

الرجل: وأتاني الحظ وأسعفتني الصدفة.. مر لوح خشب يطفو على النهر فتوقف أمامي.. ثم جاءت مجموعة ألواح أخرى التقت باللوح الأول من جهاته الأربع بشكل عمودي.. ثم قذف النهر بحبال غليظة التفت باللوح الأول من جهاته الأربع بشكل عمودي.. ثم قذف النهر بحبال غليظة التفت حول الألواح بإحكام حتى ثبتتها، وألقى بعض الناس بعض الزفت السائل فدخل في الشقوق بحيث منع دخول الماء، وهكذا وجدت نفسي أمام سفينة صغيرة عبرت بها النهر إليكم.

الملاحدة: ويحك أتضحك علينا.. إن هذا أمر مستحيل.

الرجل: خسرتم وأقررتم على أنفسكم.. أبت عقولكم أن تصنع الصدفة السفينة الصغيرة، وسمحتم لها أن تصنع هذا العالم المعجز وهو أعقد من السفينة وأحكم وأكبر وأتقن!!.

*****

● قال أحمد سالم باعطب:

قالتْ غداً ستزورني جاراتي
فحذارِ أن تَنْسَى غداً طلباتي

سأُعِدُّ مأدبةً يُدَوِّي صيتُها
أزهو بها بين النساءِ بذاتي

ستكونُ تاريخاً يُرَدَّدُ ذكرُها
أحلى فخار في جبين حياتي

سـأُعِـدُّ أصنافًا إذا مـا ذُقْنَهـا
قَطَّعنَ أيديَهُنَّ من حسرات
ووَدِدْنَ لو أن الزمـانَ كـمـثلِنا
أَغْوَى بعولَتهُنَّ بالنفقات
قلتُ: اصمتي فلقد جرحت مشاعري
وتركتِها مشلولةَ الحركات
وخنقتِ أغنيةَ السعادةِ في فمي
وحجبتِ عن دربِ المنى نظراتي
بالأمسِ أشعلت المواقدَ من دمي
وملأتِ شاحنةً من الفضلات
وتركتِ شارعَنا يئنُّ ويشتكي
مما تناسلَ فيهِ من حشرات
فقوافلُ الناموسِ تقرعُ سمعَه
بطنينها في حالك الظلمات
ومواكبُ الذُبَّانِ تنهشُ وجهَهُ
نشوى بما أسديت من قذرات
يشكو ومثلُكِ لا يعي كلماتِهِ
ولقد يَغصُّ الحُرُّ بالكلمات
قالتْ: قتلتَ بِراحتيك كرامتي
وسطوتَ في صلفٍ على حرماتي

أتُريدُني أضحوكةً في المُنْتَدَى

وحكايةً في السنِ للفتيات؟!

أتريدُنا في الحيِّ رمز تَخَلُّفٍ

تلهو بنا النِّسوانُ في السهرات ؟

أتريدُ أتْرابي إذا أبْصَرْنَني

يلمزْنني بالغمزِ والهمسات ؟

دعنا نَسرْ فالركبُ يمضي ساخراً

بالواقفين أسىً على الطرقات

أنا لن أكونَ بضاعَةً لك تُقْتَنَى

أنا لن أكون حبيسةَ الحجرات

قلتُ: انصفي فلقد شططتِ عن الهدى

وجَفَا لسانُك روضةَ الحسنات

أنا ما جمعتُ المالَ وَيحكِ من رِبًا

كلا ولم أجمعْهُ من رشوات

أهرقتُ أيامي جهاداً كُلَّها

وعصرتُ في تحصيلهِ عضلاتي

أقضي ليالي الشهر مضطربَ الحِجى

حيرانَ تمضغ حيرتي ساعاتي

كيفَ السبيلُ إلى الثراءِ وراتبي

ضحكٌ؟ وكيف أزيد مُدَّخَراتي

يا زوجـــــتي، إنَّ التظاهرَ بالغنى

مُـــزرٍ يطوفُ به نذيرُ شـــتاتِ

لا تنهلي من منهلٍ عَـفِنٍ سَـرَتْ

في عـمـقـه جـرثومـةُ اللعناتِ

*****

• لقي أبا العيناء بعض أصحابه في السحر، فجعل يتعجّب من بكوره، فقال أبو العيناء:

أراك تشركني في الفعل، وتفردني بالتعجب.

*****

• وذكر أنّ المتوكل قال له:

لولا أنك ضرير لنادمناك..

فقال:

إن أعفاني من رؤية الأهلّة، وقراءة نقوش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة.

*****

• كان أشعب يختلف إلى قينة يعلمها، فطلبت منه درهماً، فانقطع عنها، فعملت له دواء، ولقيته به، فقال لها: ما هذا؟ فقالت له: دواء عملته لك تشربه لهذا الفزع الذي بك، قال: اشربيه أنت للطمع، فلو انقطع طمعك لانقطع فزعي.

*****

● حضر المغني جحظة مع جماعة، فيهم علي بن بسام، فأخذ كل واحد منهم مخدة. فقال جحظة: ما لي لا أُعطى مخدة؟ فقال له ابن بسام: غنّ فالمخاد كلها إليك تصير. (يريد حين يرمونه بها).

*****

● بكى سفيان بن عيينه يوماً، فقال: له يحيى بن أكثم: ما الذي يبكيك يا أبا محمد؟

فقال سفيان: يبكيني أنه بعد مجالسة أصحاب رسول الله ﷺ بليت بمصاحبتك.

فأجاب يحيى بن أكثم: إذن فإن مصيبة أصحاب رسول الله ﷺ بمجالستك بعد رسول الله أعظم من مصيبتك بمجالستي بعد أصحابه.

فأطرق سفيان وأنشد:

خل جنبيك لرام
وامض عنه بسلام

مُت بداء الصمت خير
لك من داء الكلام

إنما السالم من ألـ
جم فاه بلجام

*****

● نظر بعض الحمقى يوماً في المرآة فقال:

اللهمَّ بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وسودها يوم تسود وجوه!!.

*****

● رأى ثلاثة زنادقة شيخاً نائماً تحت شجرة فتعاهدوا على أن يحرجوه.. فاتفقوا على أن يسأله كل واحد سؤالاً يعجز الشيخ عن إجابته، ويثير الشبهة لديه فجاؤوا إليه وأيقظوه..

فقال الأول: أنا لا أرى الله فكيف أؤمن به؟

الثاني: كيف يكتب علي الله أفعالي ثم يحاسبني عليها ويعاقبني؟

الثالث: ألم يخلق الجن من نار؟ فكيف سيعذبون فيها؟

فما كان من الشيخ إلا أن ضربهم بالطين، فأخذوه وشكوه للوالي..

قالوا: سألنا هذا الشيخ ثلاثة أسئلة، فلم يجبنا، بل ضربنا بالطين.

الوالي: لماذا ضربتهم ولم تجبهم أيها الشيخ؟

الشيخ: قد أجبتهم.. قال الأول: إنه لا يؤمن بوجود الله لأنه لا يراه فضربته.

الأول: نعم، وقد آلمتني.

الشيخ: إن كنت قد آلمتك فأين ألمك؟ فما دمت لا أراه فأنت لا تتألم.

الثاني: ولكن لِمَ ضربتني؟!

الشيخ: كنت تسأل كيف يحاسبك الله على أمر قد كتبه عليك، وقد كتب الله عليك أن أضربك فلماذا شكوتني؟!

ثم قال: وسألني الثالث كيف يعذب الله الجن في النار وقد خلقوا من نار؟ وقد ضربته أيضاً.

الثالث: لقد آذيتني.

الشيخ: ألست مخلوقاً من طين؟ فكيف يؤلمك الطين، وكذلك يعذب الله الجان بالنار كما خلقهم من نار.

*****

● قيل: دخل أعرابي على يزيد بن المهلب، وهو مضطجع على فراشه، وعنده الكثير من الناس، فقال: كيف أصبح الأمير؟ فقال يزيد: كما تحبُّ أن يكون، فقال الأعرابي: لو كنت كما أحب، لكنت أنت مكاني، وأنا مكانك!

*****

● قال الجاحظ: دخلت على مؤدّب، ورأسه في حجر صبيّ، وفي أذنه خرقة معلّقة، وكان المؤدب أصلع، والصبي يكتب في رأسه، ويمحوه بالخرقة، ثمّ يكتب مرّة أخرى، فقلت له: ما هذا الذي يصنع الصبي في رأسك؟ قال لي: يا فلان، هذا الصبي يتيم، وليس له لوح، ولا ما يشتريه به، فأنا أعطيه رأسي يكتب فيه ابتغاء ثواب الله!

*****

● وهب مزبّد امرأته قميصاً، فشكت إليه غلظه وخشونته، فقال وهو مغضب: أترينه أخشن من الطلاق؟!

*****

● جلس ابن أبي عتيق يوماً يتغدّى مع أولاده، فجعلوا يتناولون اللحم من بين يديه، فقال:

يا بنيّ، إن الله أوصى بالوالدين ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾، والله لأن تقولوا لي «أفٍّ» ثلاثين مرة أيسر عليّ من أخذكم اللحم من بين يديَّ.

*****

● قالت الجارية لابن أبي عتيق يوماً:

إن فلاناً القارئ ـ وكان يظهر التنسّك ـ قد قطع عليّ الطريق، وآذاني، ويقول لي: أنا أحبّك.

فقال لها:

قولي له: وأنا أيضاً أحبّك، ثم واعديه المنزل.

ففعلت، وأدخلته المنزل؛ وكان قد واعد جماعة من أصحابه ليضحكوا من الرجل.

ودخلت الجارية إلى البيت الذي فيه الرجل، فدعاها، فاعتلّت عليه، فوثب إليها، وضرب بها الأرض. فدخل عليه ابن أبي عتيق وأصحابه، فخجل وقام، وقال:

يا فسّاق، ما تجّمعكم ها هنا إلا لريبة.

فقال ابن أبي عتيق وأصحابه:

استر علينا سترك الله!

*****

● قيل:

سقط لمطيع حائط، فقال له بعض أصحابه:

احمد الله على السلامة.

قال:

احمد الله أنت، إذا لم ترُعك هدّته، ولم يصبك غباره، ولم تغرم أجرة بنائه!!.

*****

● قال بشر بن حجر: انقطع إلى أبي علقمة غلام يخدمه، فأراد أبو علقمة البكور في حاجة فقال: يا غلام، (أصقعت العتاريف؟)، فقال له الغلام: (زقفيلم)، قال أبو علقمة: وما (زقفيلم؟) قال: وما (العتاريف؟)، قال: الديوك، قال: وأنا قلت: ما صاح منها شيء بعد.

*****

● روى أشعب عن نفسه:

أضجرني الصبيان يوماً، فأردت أن أشغلهم، فقلت لهم: إن بموضع كذا عرساً فامضوا إليه. فلما مضوا، ظننت أنه كذلك فصدقتهم فتبعتهم.

*****

● روي عن أعمى أنه أتى يوماً يغتسل من عين فدخل بثيابه، فقيل له: بللتِ ثيابك، قال: تبتلُّ عليَّ أحب إليَّ من أن تجف على غيري.

*****

● مدح رجل رجلاً اسمه (يسير) فقال: **ومدح يسير في البلاد يسير،** فقيل له: إنه لا يعطيك شيئاً، فقال: إذا لم يعطني قلت بيدي هكذا، وضم أصابعه يعني أنه قليل.

*****

● مر أعرابي بأبي الأسود الدؤلي وهو واقف ببابه وسلم عليه..

فقال له: وما شأنك يا أعرابي؟

قال الأعرابي: ائذن لي بدخول بيتك.

فقال الأسود: وراءك أوسع لك.

قال الأعرابي: هل عندك ما يؤكل؟

فقال أبو الأسود: نعم، ولكن عيالي أحق به منك.

قال الأعرابي: ما رأيت والله ألأم منك.

فقال أبو الأسود: وكيف نسيت نفسك؟

*****

● تكلم بعض القصاص فقال: في السماء ملك يقول كل يوم: **«لدوا للموت وابنوا للخراب»** فقال بعض الفطناء: اسم ذلك الملك أبو العتاهية.

*****

● بينما كان الفضل بن الربيع ـ وكان صبيحاً ـ مع الفرج الزحجي ـ وكان دميماً ـ يأكلان معاً إذ هبطت عليهما أعرابية مليحة شاركتهما في الأكل.

فقال لها الفضل: هل لك من قرين؟

فقالت الأعرابية: لا.

فقال لها: هل لك في قرين من أصحاب أمير المؤمنين وأشار إلى فرج؟

فقالت: جوابك عند الفراغ من الأكل، ولما فرغت قالت للفضل: أتقرأ شيئاً من كتاب الله؟

قال: نعم.

قالت: أفتؤمن به؟

قال: نعم.

قالت: فإن الله يقول: ﴿ **ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا** ﴾.

*****

• نظر رجل إلى أخوين لأب وأم، أحدهما جميل والآخر قبيح فقال: ما أمكما إلا شجرة تحمل سنة موزاً وسنة عفصاً.

*****

• مر طفيلي على قوم كانوا يأكلون، وقد أغلقوا الباب دونه، فتسور عليهم من الجدار وقال:

منعتموني من الأرض فجئتكم من السماء.

*****

● بنى عبدالملك بن مروان باباً للمسجد الأقصى، وبنى الحجاج باباً آخر مثله بإزائه.. فانقضت صاعقة فأحرقت باب عبدالملك وسَلِم باب الحجاج، فغضب عبدالملك غضباً شديداً، وقال: أيحرق بابي ويسلم باب الحجاج؟! فكتب الحجاج إلى عبدالملك يقول: بلغني أن ناراً نزلت من السماء فأحرقت باب أمير المؤمنين ولم يحترق باب الحجاج، ومثلنا في ذلك كمثل ابني آدم: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾.

فسري عنه لما وقف عليه.

*****

● كان بالكوفة رجل يقال له مصلح، فبلغه أنّ بالبصرة رجلاً من المصلحين مقدماً في شأنه، فسار الكوفي إلى البصرة. فلما قدم عليه قال له: من أنت؟ قال: أنا مصلح جئتك من الكوفة لما بلغني خبرك. فرحب به وأدخله موضعه، وخرج يشتري له ما يأكل. فأتى جبَّاناً فقال له: أعندك جُبن؟.

قال: عندي جبن كأنه سمن! فقال في نفسه: لِمَ لا أشتري سمناً حين هو يُضرب به المثل؟ فذهب إلى من يبيع السمن فقال له: أعندك سمن؟ فقال: عندي سمن كأنه زيت! فقال في نفسه: لِمَ لا أشتري زيتاً حين هو يُضرب به المثل؟ فذهب إلى زيَّات وقال: أعندك زيت؟ قال: عندي زيت صافٍ كأنه الماء! فقال في نفسه، لِمَ لا أشتري ماء حين يُضرب به المثل؟! فرجع إلي بيته، وأخذ صحفة وملأها ماء، وقدمها للضيف مع كُسيرات يابسة، وعرّفه كيف جرى له، فقال الكوفي: أنا أشهد أنك بالإصلاح أحق من أهل الكوفة.

*****

● لطم رجل الأحنف بن قيس فقال له: لِمَ فعلت هذا؟ قال: جُعِلَ لي جُعل على أن ألطم سيد بني تميم فقال: ما صنعت شيئاً، عليك بحارثة ابن قدامة، فإنه سيد بني تميم فانطلق فلطمه فقطع يده ـ وذاك أراد الأحنف.

*****

● قال الجاحظ: مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق، فقلت: ما هذا؟ قال: عندي صغار أوباش أقول لأحدهم: اقرأ لوحك، فيصفر لي، فأضربه بالعصا القصيرة، فيتأخر، فأضربه بالعصا الطويلة، فيفرّ من بين يديّ، فأضع الكرة في الصولجان وأضربه فأشجّه، فيقوم إليّ الصغار كلّهم بالألواح، فأجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي، وأضرب الطبل وأنفخ البوق، فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون إليّ ويخلّصونني منهم.

*****

● يروى أن بثينة دخلت على عبدالملك بن مروان، فحدد النظر إليها، وقال: يا بثينة، ما رأى فيك جميل حين قال فيك ما قال؟ قالت: يا أمير المؤمنين، ما رأى فيك الناس حين ولوك الخلافة، فضحك عبدالملك حتى بدت له سن سوداء، كان يخفيها، وما ترك لها من حاجة إلا قضاها يومئذ.

*****

● جاء شاعر إلى بشار بن برد، فأنشده شعراً ضعيفاً، وقال له: كيف تراه؟ فقال له: احسنت، إذ أخرجته من صدرك، ولو تركته لأورثك الفالج.

*****

● تعلق أعربي بأذيال الهرب من الحرب..

فقال له عمر بن أبي هبيرة: يا هذا، قاتل وخذ الرزق.

فقال الأعرابي: أنا لا أقاتل حتى تقدم لي رزقي.

قال عمر: وأنا لا أقدم لك الرزق حتى تقاتل.

فقال الأعرابي: عجباً يا عمر كيف أقاتل وأنا أرى منيتي معجلة وأمنيتي مؤجلة؟!

*****

● تقابل زميلان قديمان، وكان أحدهما قد تخرج طبيباً، وأما الآخر فقد اشتغل صياداً.

وفي يوم ما، أراد الطبيب أن يعبر النهر، وأخذه الصياد في قاربه.. وسأله الطبيب:

هل تعرف شيئاً عن الفسلجة والتشريح والطب؟

فأجاب الصياد: أبداً.

فقال له الطبيب: لقد ضاع عليك نصف عمرك.

وبعدها هبت عاصفة شديدة، فدار بينهما الحديث الآتي:

الصياد: هل تعرف شيئاً عن السباحة؟

الطبيب: أبداً.

الصياد: إذن لقد ضاع عليك عمرك كله!

*****

● قال رجل لهارون الرشيد: إني أستطيع أن أقوم بعمل يعجز عنه جميع الناس، فقال له الرشيد: هات ما عندك حتى نرى ـ فأخرج علبة مليئة بالإبر، فغرس إحداها في الأرض، ثم أخذ يرميها بسائر الإبر بحيث إن كل إبرة تشتبك بثقب الإبرة السابقة، ولما انتهى من رمي الإبر، وقف الرجل مزهواً بعمله، ومنتظراً إجازة سنيّة، فأمر الرشيد بضربه مائة جلدة، وإعطائه مائة دينار... ولما سئل الرشيد عن سبب هذا التصرف؟! قال: أعطيتُه مائة دينار مكافأة على حِذقه ومهارته، وأمرت بضربه مائة جلدة لأنه يضيع ذكاءه بما لا يفيد.

*****

دار هذا الحوار في واقعة حقيقية:

● المريض: إنني أشعر بتعب في معدتي يا دكتور..

الطبيب: لا تأكل كثيراً.

المريض: وهل الأكل متعب للمعدة؟ إن أجدادنا كانوا يأكلون كثيراً وكانت معدتهم مثل الحديد!

الطبيب: أجدادنا كلهم قد ماتوا..!

*****

● أعلن أحد الصيادلة عن دواء يعيد الشباب، فاشتد إقبال الناس على شرائه؛ فجاءه رجل يطلب منه زجاجة، ولكن الصيدلي أخطأ، فأعطاه مسهلاً بدلاً منه!

وما لبث أن شرب الرجل جميع محتويات القنينة!

وفي الطريق إلي بيته شعر بمغص وإسهال، إلى درجة أنه لم يستطع ضبط نفسه، فتلوثت ملابسه الداخلية.. فلما بلغ الدار رأته زوجته، فسألته عن الأمر، فقال لها:

لقد أعطاني الصيدلي دواءً يعيد إليَّ الشباب.. ويظهر أن الدواء من القوة بحيث أرجعني إلى دور الرضاعة!!

*****

● أتى رجل الحطيئة وهو في غنم له، فقال له:

يا صاحب الغنم.

فرفع الحطيئة عصاه، وقال:

إنها عجراء من سلم.

فقال الرجل:

إني ضيف.

فقال الحطيئة:

للضيفان أعددتها.

*****

● وهذه القصيدة للشاعر مصطفى حمام يعارض بها قصيدة شوقي التي مطلعها:

أما العتاب فبالأحبة أخلق
والحب يصلح بالعتاب ويصدق

أما مصطفى حمام فيقول:

أما الفلوس فبالأحبة أخلق
والقرش أقرب للفؤاد وألصق
لم يبق في جيبي سوى تعريفة
والله يمنح من يشاء ويرزق
لما قصدت البنك أطلب سلفة
قالوا: ابتعد فالبنك لا يتصدق
هل من كريم أرتجيه لورطتي
سمح اليدين إلى المكارم يسبق
شاورت للتكسي أريد ركوبه
فمضى يبرطع كالحمار وينهق
السائقون دروا بإفلاسي فما
يقفون لي وأنا أشير وأزعق

*****

● قال المتوكل يوماً لجلسائه: أتدرون ما الذي نقم المسلمون على عثمان؟ أشياء؛ منها: أنه قام أبو بكر دون مقام رسول الله ﷺ بمرقاة، ثم

قام عمر دون أبي بكر بمرقاة، فصعد عثمان ذروة المنبر، فقال عبادة: ما أحد أعظم منة عليك يا أمير المؤمنين من عثمان، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنه صعد ذروة المنبر، فلو أنه كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه كنت تخطبنا من بئر جلولاء، فضحك المتوكل ومن حوله.

*****

● قال الأصمعي: قيل لطويس: ما بلغ من شؤمك؟ قال: ولدت يوم توفي رسول الله ﷺ، وفطمت يوم توفي أبو بكر، وختنت يوم مات عمر، وراهقت يوم قتل عثمان، وتزوجت يوم قتل عليّ، وولد لي يوم قتل الحسين.

*****

● بينا قوم جلوس عند رجل من المدينة يأكلون عنده حيتاناً، إذ استأذن عليهم أشعب، فقال أحدهم: إن من عادة أشعب أن يبسط يده إلى أحسن الطعام، فاجعلوا الحيتان الكبار بعيدة عنه، ليأكل من صغار السمك، ففعلوا، فلما دخل أشعب قالوا له: كيف رأيك في الحيتان؟ فقال: إن لي عليها حقداً شديداً، لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان. قالوا له: هلمَّ خذ بثأرك منها، فجلس، ومدّ يده إلى حوت صغير، ثم وضعه عند أذنه، وقد نظر إلى الصحفة التي فيها الحيتان الكبار في ركن المائدة، فقال:

أتدرون ما يقول هذا الحوت الصغير؟

قالوا: لا، قال: إنه يقول: إنه لم يحضر موت أبي، ولا أدركه؛ لأن سنه تصغر عن ذلك، وقال لي: عليك بتلك الحيتان الكبار التي في ركن المائدة، فهي التي أدركت أباك وأكلته؟

*****

● في الحمقى يقول أحدهم:

اتق الأحــــمق أن تصـــحـــبـــه
إنما الأحـــمق كـــالثـــوب الخلق

كلمـــا رقـــعت منه جـــانبـــاً
خـــرقـــتـــه الريح وهناً فـــانخـــرق

أو كـــصـــدع في زجـــاج فـــاحش
هل تـرى صــدع زجـــاج يرتـتق؟

كـحـــمـــار السـوق إن أقـضـمـتـه
رمـح الـنـاس وإن جـــــاع نـهـق

أو غـــلام الســوء إن أســغـبــتـه
ســرق الـناس وإن يـشـبـع فـــسق

وإذا عـــاتبـــتـــه كي يـرعـــوي
أفـــســـد المجلس منه بـالخـــرق

*****

● روى الجراح الأخصائي (و.خ) هذه النادرة:

زاره يوماً أحد المرضى، وسأله الطبيب فيما إذا كان قد زار طبيباً آخر قبل أن يأتي إليه، فأجاب المريض:

كلا، ولكني ذهبت إلى صيدلي!

فقال له الجراح (و.خ):

وما هو الرأي السخيف الذي أشار عليك به؟

فأجاب المريض:

لقد أشار عليَّ بأن أحضر إلى عيادتك!

*****

● وجد يهودي مسلماً يأكل شواء في نهار رمضان، فطلب منه أن يطعمه، فقال له المسلم: يا هذا، إن ذبيحتنا لا تحل لليهود. فقال: أنا في اليهود مثلك في المسلمين.

*****

● قال الجاحظ: كان جعيفران الموسوس يماشي رجلاً من إخوانه على قارعة الطريق فدفع الرجل جعيفران على كلب فقال: ما هذا؟

قال: أردت أن أقرنك به.

قال: فمع من أنا منذ الغداة؟!!

*****

● قيل لرجل اشتهر بالبخل:

لماذا لا تدعو الناس إلى مائدتك وأنت معروف بالتأنق في الطعام؟

قال: يمنعني من ذلك أني لم آكل مع أحد إلا رأيت منه ما يعيبه.

يلتهم كبد الدجاجة، ويستأثر بكلية الخروف، ويزدرد قانصة الإوز، ويستولي على صدور الفراخ؛ ولذا فالوحدة عندي خيرٌ من أكيل السُّوء.

*****

● كان ابن هرمة من أبخل الناس على ادعائه الكرم في شعره. فأتاه يوماً جماعة فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: شعرك حيث تقول:

أغشى الطريق بقبتي ورواقها

وأحل في قبب الربى وأقيم

إني امرؤ جعل الطريق لبيته

طنبا وأنكر حقه للئيم

فنظر إلينا وقال: ما على الأرض عُصبة أسخف منكم عقولاً! أما سمعتم قول الله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾؟ والله إني لأقول ما لا أفعل، وأنتم تريدون أن أفعل ما أقول، والله لا عصيت ربي في رضاكم.

*****

● قيل: كان بعض الكبار توضع على مائدته كل يوم دجاجة فلا تؤكل بل ترفع ثم تسخن في اليوم الثاني فتقدم فتترك بحالها، فقال بعض الحاضرين: دجاجتنا هذه من آل فرعون تعرض على النار غدواً وعشياً.

*****

● قيل: إن بعض البخلاء قال لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب، فقال: يا مولاي، هذا خطأ أغلق الباب أولاً ثم أقدم الطعام، فقال: اذهب فأنت حر لعلمك بأسباب الحزم!!.

*****

● انفرد الحجاج يوماً عن عسكره فلقي أعرابياً، فقال: يا وجه العرب، كيف الحجاج؟ قال: ظالم غاشم، قال: فهلا شكوته إلى عبدالملك؟ فقال: لعنه الله أظلم منه وأغشم؛ فأحاط به العسكر، فقال: أركبوا البدوي، فأركبوه، فسأل عنه، فقالوا: هو الحجاج، فركض من الفرس خلفه، وقال: يا حجاج، قال: ما لك؟ قال: السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد، فضحك وخلاه.

*****

● سمع أعرابي قارئاً يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى:

﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا﴾ فقال: لقد هجانا، ثم بعد ذلك سمعه يقرأ:

﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

فقال: لا بأس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا:

هجوت زهيراً ثم إني مدحته

وما زالت الأشراف تهجى وتمدح

*****

● جلس مقاتل بن سليمان يوماً وقد أخذته العزة بالعلم.. فقال لمن حوله: هلموا فاسألوني عما تحت العرش إلى أسفل الثرى.

فقام من بين الجماعة رجل وقال له: نحن لا نسألك عن شيء من ذلك، إنما نسألك عما معك في الأرض؟

قال مقاتل: مرحباً مرحباً فاسألوا ما شئتم.

فقال الرجل: أخبرني عن كلب أصحاب الكهف ما كان لونه؟

قال مقاتل: والله لقد أعجزتني.

*****

● قالت السيدة للطبيب:

إن مشكلة ابني عويصة جداً يا دكتور، فهو يتخيل دائماً بأنه دجاجة!

قال:

وكم من الوقت مضي عليه منذ أن انتابته هذه الحالة؟

قالت:

منذ سنة يا دكتور..

قال:

منذ سنة؟! (متعجباً) ولم تفكروا في علاجه إلا الآن؟

وردت السيدة بخجل:

أنت تعرف يا دكتور أننا فقراء، وكنا نظن أن الانتظار قد يأتي بنتيجة، خاصة وأن أسعار البيض مرتفعة!!

*****

● نظر بعض الظرفاء إلى رجل يرمي هدفاً وسهامه تذهب يميناً وشمالاً، فقعد في وجه الهدف فقيل له في ذلك، فقال: لم أر موضعاً أسلم منه.

*****

● قيل لرجل: تحفظ القرآن؟ قال: نعم، قالوا: إيش أول الدخان؟ قال: الحطب الرطب.

*****

● ابن الرومي يقول:

خرج رجل إلى قرية، فأضافه خطيبها، فأقام عنده يوماً، فقال له الخطيب: أنا منذ مدة أصلي بهؤلاء القوم. وقد أشكل علي في القرآن بعض مواضع، فقال: سلني عنها. قال: منها في «الفاتحة» إياك نعبد وإياك... أي شيء تسعين؛ أو سبعين؟. أشكلت علي هذه، فأنا أقولها تسعين آخذ بالاحتياط.

*****

● دخل اللصوص دار أبي سعيد، فأخذوا كل ما فيها فلما خرجوا تبعهم، وهو يحمل بعض ما تركوه، فقالوا له: إلى أين يا رجل؟ وما تريد؟ قال: لم تُبقُوا لي شيئاً في داري، فخرجت وارءكم لأقيم بداركم. فضحكوا منه وردوا عليه متاعه.

*****

● قال رجل لبعض البخلاء: لِمَ لا تدعوني إلى طعامك؟ قال: لأنك جيّد المضغ سريع البلع، إذا أكلت لقمةً هيّأت أخرى، فقال: يا أخي، أتريد إذا أكلتُ عندك أن أُصلي ركعتين بين كل لقمتين؟

*****

● خرج الخليفة المهدي للصيد، فبعد عن أصحابه حتى انتهى إلى خباء أعرابي، فقال: يا أعرابي، هل من قرى؟ قال الأعرابي: نعم، وأخرج له خبزاً فأكله، ولبنا فسقاه، ثم أتى له بشراب فشرب منه قدحاً، فلما شرب المهدي قال له: أتدري من أنا؟ قال: لا والله. قال المهدي: أنا من خدم خاصة الخليفة. فقال الأعرابي: بارك الله في موضعك. ثم سقاه قدحا ثانياً، فلما شربه قال: أتدري من أنا؟ قال الأعرابي: زعمت أنك من خدم الخاصة، فقال المهدي: لا، أنا من قواد أمير المؤمنين، فقال الأعرابي: رَحُبَت بلادك، وطاب مزادك ومرادك، ثم سقاه قدحا ثالثاً، فلما شربه قال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟ قال: زعمت أخيراً أنك من قواد أمير المؤمنين. قال: لا، ولكني أمير المؤمنين. فأخذ الأعرابي الشراب وأبعده عنه، وقال: والله لئن شربت الرابع لتزعمن أنك رسول الله. فضحك المهدي. ثم أحاطت بهم الخيل، ونزل الأشراف، ومشوا نحو المهدي في إجلال، فأيقن الأعربي أنه هو الخليفة، فطار قلبه من الخوف. فقال له المهدي: لا بأس عليك، وأمر له بصلة. فقال الأعرابي: أشهد أنك صادق، ولو ادعيت الرابعة لصدقتك.

*****

● احتجم الحجّاج ذات يوم، فلما ركب الحجام المحاجم على رقبته قال له: أحب أيها الأمير أن تخبرني بخبرك مع ابن الأشعث، وكيف عصا عليك؟ فقال له: لهذا الحديث وقت آخر، وإذا فرغت من شأنك حدّثتك.

فأعاد الحجام مسألته وكررّها، والحجّاج يدفعه ويعده ويحلف له على الوفاء له.

فلما فرغ ونزع المحاجم عنه وغسل الدم، أحضر الحجّام وقال له: إنّا وعدناك بأن نحدّثك حديث ابن الأشعث معنا، وحلفنا لك، ونحن محدِّثوك.

ثم نادى: يا غلام، السِّياط!

فأُتي بها. فأمر الحجاج بالحجام فجُرد، وعلته السياط، وأقبل الحجاج يقصّ عليه قصة ابن الأشعث بأطول حديث. فلما فرغ استوفى الحجام خمسمائة سوط، فكاد يتلف.

ثم رفع الضرب وقال له:

قد وفَّينا لك بالوعد، وأيّ وقت أحببت أن تسأل خبرنا مع غير ابن الأشعث على هذا الشرط أجبناك!!

*****

• جلس أعمى وبصير معاً يأكلان تمراً في ليلة مظلمة فقال الأعمى: أنا لا أرى ولكن لعن الله من يأكل ثنتين ثنتين وعندما انتهى التمر صار نوى الأعمى أكثر من نوى البصير فقال البصير: كيف يكون نواك أكثر من نواي؟ فقال الأعمى لأني آكل ثلاثا! فقال البصير أما قلت: لعن الله من يأكل ثنتين ثنتين؟ قال: بلى ولكني لم أقل ثلاثا!!.

*****

• جاء رجل إلى سليمان النبي عليه السلام فقال: يا نبي الله إنّ لي جيراناً يسرقون أوزي، فنادى: الصلاة جامعة، ثم خطبهم، فقال في خطبته:

... وأحدكم يسرق إوزة جاره، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه، فمسح رجل رأسه، فقال سليمان: خذوه فإنه صاحبكم.

*****

● سأل بعض الخلفاء ولده ـ وفي يده مسواك ـ: ما جمع هذا؟ قال: ضد محاسنك يا أمير المؤمنين.

*****

● كان رجل كثير المخاصمة لامرأته، وله جار يعاتبه على ذلك، فلما كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربها، فاطلع عليه جاره فقال:

يا هذا. إعمل معها كما قال الله تعالى: «إما إمساك ايش اسمه... أو تسريح ما أدري ايش»!!.

*****

● تنبأ رجل في زمن المهدي، فأمر بإحضاره. ولمّا مثل بين يديه قال له:

أنت نبي؟

قال:

نعم.

قال:

ومتي بُعثت؟

قال:

وما تصنع بالتاريخ؟

قال:

ففي أيّ موضع جاءتك النبوّة؟

قال:

وقعنا. والله ليس هذا من مناظرات الأنبياء، إن كان عزمك أن تصدّقني فكلّ ما قلتُ لك اعمل به، وإن عزمت أن تكذّبني فدعني رأساً برأس.

قال المهديّ:

هذا لا يجوز، فإن فيه فساد الدين.

فغضب وقال:

واعجباه! تغضب أنت لفساد دينك، ولا أغضب أنا لفساد ديني؟ فوالله ما قويت إلا بمعن بن زائدة والحسن بن قحطبة ومن أشبههما.

فضحك المهديّ وقال لشريك القاضي:

ما تقول فيه؟

قال المتنبئ:

تشاور ذاك في أمري ولا تشاورني؟

قال:

هات ما عندك.

قال:

أكافر أنا عندك أم مؤمن؟

قال:

كافر.

قال:

فإن الله يقول: ﴿ وَلا تُطعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ودَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ فلا تطعني ولا تؤذني، ودعني أذهب إلى الضعفاء المساكين، فإنهم أتباع الأنبياء، وأترك الملوك والجبابرة فإنهم حصب جهنم.

فضحك وخلاّه.

*****

● عن ابن شهاب قال: دخل رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: السلام عليك يا أبا غَفّر، حفص الله لك.

فقال عمر رضي الله عنه: تعني: يا أبا حفص، غفر الله لك.

فقال الرجل: أصلعتني فرقتك! يريد أن يقول: أفرقتني صلعتك!

*****

● كان أبو الحسن بن هلال إذا أخطأ الفرس تحته يأمر بقطع علفه تأديباً له.. فإذا قيل له في ذلك، قال: أطعموه ولا تعلموه أنني علمت بذلك.

*****

● قال الرياش: هدم الوليد إحدى الكنائس.. فكتب إليه ملك الروم يقول: إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك بثاقب نظره تركها.. فإن كان ما فعلت صواباً فقد أخطأ أبوك، وإن كان خطأ فما هو عذرك؟

فرد عليه الوليد يقول: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾.

*****

● شكا رجل إلى طبيب وجع بطنه فقال: ما الذي أكلت؟ قال: أكلت رغيفاً محترقاً، فدعا الطبيب ليكحله بذرور، فقال الرجل: إنما أشتكي وجع بطني لا عيني قال: قد عرفت، ولكن أكحلك لتبصر المحترق، فلا تأكله.

*****

● كان أبو الحارث حسين يُظهر لجارية من المحبة أمراً عظيماً، فدعته وأخّرت الطعام إلى أن ضاق، فقال:

يا سيّدتي، ما لي لا أسمع للغداء ذكراً؟

فقالت:

يا سبحان الله! أما يكفيك النظر إليّ وما ترغبه فيّ من أن تقول هذا؟!

فقال:

يا سيدتي، لو جلس جميل وبثينة من بكرة إلى هذا الوقت لا يأكلان طعاماً لبصق كلٌّ واحد منهما في وجه صاحبه!

*****

● عُرضت على المتوكل جارية شاعرة.. فأمر أبا العيناء الشاعر ليختبرها وكان ضريراً.

فقال أبو العيناء للجارية: أتقولين الشعر كما يقولون؟

فقالت الجارية: نعم أقوله وأجيده.

قال أبو العيناء: إليك شطراً واحداً فأكمليه:

الحمد لله كثيراً...

فقالت الجارية:

حيث أنشاك ضريراً.

*****

● تنبأ أحدهم فأحضر إلى الخليفة، فقال له:

ما أنت؟

قال:

أنا نبيّ.

قال:

فما معجزتك؟

قال:

سل ما شئت.

وكان بين يديه قفل، قال:

خذ هذا القفل فافتحه.

فقال:

أصلحك الله لم أقل إني حدّاد، قلت: أنا نبيّ!!

فضحك الخليفة واستتابه.

*****

● جيء للمنصور ببعض الخوارج عليه وقد ظفر به أسيراً..

فقال له المنصور: أخبرني يا هذا مَن مِن أصحابي كان أشد إقداماً في مبارزتك؟

فقال الخارجي: يا أمير المؤمنين.. إني لا أعرف وجوه أصحابك مقبلين، وإنما أعرف أقفيتهم مدبرين، فقل لهم يدبرون حتى أدلك إلى أيهم كان أشد فراراً!!؟.

*****

● قال محمد بن الحجاج راوية بشار بن بُرد: مات لبشار حمار، فقال: رأيت حماري البارحة في النوم، فقلت له: ويلك مُتّ؟ قال: إنك ركبتني يوم كذا، فمررنا على باب الأصبهاني، فرأيت أتانًا عند بابه، فعشقتها، فمُتُّ.

وأنشد:

سيدي خذ لي أمانا
من أتان الأصبهاني

إن بالباب أتانا
فضلت كل أتان

تيمتني يوم رحنا
بثناياها الحسان

وبحسن ودلال
سل جسمي وبراني

ولهــــــا خـــــــد أســـــيـل

مـــثـل خـــد الشنـفـــراني

فـــبــــهــــا متُّ، ولـو عـــشــ

ـــــت إذاً طـــال هـــوانــــي

فقال له رجل: يا أبا معاذ، ما الشنفراني؟ قال: هو شيء يتحدث به الحمير فإذا لقيت حماراً فاسأله.

*****

● روي عن ضمرة عن شوذب قال: كان لرجل جارية فوطئها سراً، ثم قال لأهله: إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة، فاغتسلوا، فاغتسل هو واغتسل أهله.

*****

● داعب محمود غنيم صديقاً له شاعراً، سرقت محفظته، بقوله:

هـون عـليك وجـــــفـف الغــــالي

لا يجـمع الله بين الشـعــر والمال

من أين أصـبـحت ذا مــال فـتـسلبـه

يا أشـبــه الناس بي في رقــة الحــال

فـيـالهـا صُـرة من جـيـبك انطلقت

وأنت أحـــوج مـــخلوق لمثـــقـــال

عـوذ نقـودك واعـقـد حـولهـا عُـقَـداً
وثـيـــقـــة تـتـــحـــدى كل حـــلال
قـــالوا خَلَت يده مـن كل مـــا ملكت
فــقلت بل رأســه مـن عــقله خــالي
يا لـيت شـعـري مـاذا أنت صـانعـه
أتزمـع الصـوم حـتى شـهـرك التـالي

*****

● ســأل رجل أبا الغـصن: أيهـمـا أفـضل يا أبا الغـصن، المشى خلف الجنازة أم أمامها؟

قال: لا تكن على النعش، وامش حيث شئت.

*****

● مرض مولى لسعيد بن العاص، ولم يكن له من يخدمه ويقوم بأمره، فبعث إلى سعيد بن العاص، فلما أتاه قال له: ليس لي وارث غيرك، وههنا ثلاثون ألف درهم مدفونة، فإذا أنا مت فخذها، فقال سعيد حين خرج من عنده: ما أرانا إلا قد أسأنا إلى مولانا وقصرنا في تعاهده، فتعاهده كل التعاهد ووكل به من يخدمه، فلما مات اشترى له كفناً بثلاثمائة درهم وشهد جنازته، فلما رجع إلى البيت حفر البيت كله، فلم يجد شيئاً، وجاء صاحب الكفن يطالب بثمن الكفن، فقال: لقد هممت أن أنبش عليه وأسلبه كفنه.

*****

● سمع أعرابيّ أبا المكنون النحويّ وهو يقول في دعاء الاستسقاء:

اللهمّ اسقِنا غيثاً مُريعاً مجلجلاً، مسحفراً، مسحّاً سفوحاً؛ طبقاً غرقاً متفجراً نافعاً لعامّتنا، وغير ضارّ لخاصتنا.

فقال الأعرابيّ:

يا خليفة نوح، هذا هو الطوفان، وربّ الكعبة، دعني حتى آوي إلى جبل يعصمني من هذا البحر.

*****

● قيل لأعرابي:

كيف أصبحت؟

قال:

بخير.

وقال له آخر:

كيف أصبحت؟

قال:

كما أخبرت هذا!.

*****

● عضّ ثعلب أعرابياً فأتى راقياً فقال الراقي: ما عضك؟ فقال: سبع. واستحيا أن يقول ثعلب. فلما ابتدأ بالرقية، قال: واخلط بها شيئاً من رقية الثعلب!.

*****

● قال بعض الأعراب:

تضع التمرة في فيك، فتبلغ حلاوتها إلى كعبك.

*****

● كان أعرابي يقول: اللهم اغفر لي وحدي. فقيل له: لو عممت بدعائك، فإن الله واسع المغفرة، فقال:

أكره أن أثقل على ربي!!.

*****

● قالت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ: قلت: يا رسول الله، لو نزلت وادياً فيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها، في أي شجرة كنت ترتع بعيرك؟

قال: «في التي لم يرتع منها» تعني أن البني ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها.

*****

● كان العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام، فقال له أحد أصحابه: ويحك! أما تستحيي؟ فقال: أرأيت لو كنّا في دار فيها بقر، كنت تستحيي وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟! فقال: لا، قال: فاصبر حتى أعلمك أنّهم بقر. فقام ووعظ وقصّ ودعا، حتى كثر الزحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار، فما بقي واحد إلا وأخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه ويقدّره حتى يبلغها أم لا. فلما تفرّقوا قال له العتابي: ألم أخبرك أنّهم بقر!

*****

● قال الحمدوني وهو يصف بخل أبي زرارة..

رأيت أبا زرارة قال يوماً
لحاجبه وفي يده الحسام

لئن وُضع الخُوان ولاح شخص
لأختطفنً رأسك والسلام

فقال: سوى أبيك فذاك شيخ
بغيض ليس يردعه الكلام

فقال وقال من حَنَق عليه
ببيت لم يرد فيه القيام:

أبي وابنا أبي والكلب عندي
بمنزلة إذا حضر الطعام

وقال له: أبِنْ لي يا ابن كلب
على خبزي أصادر أو أضام؟

إذا حضر الطعام فلا حقوق
علي لوالديً ولا ذمام

فما في الأرض أقبح من خوان
عليه الخبز يحضره الزحام

*****

● يقول الشاعر كَشَاجِم، وهو يروي قصته بالتفصيل مع صديق له بخيل، دعاه إلى طعامه، فإذا به يحس كأنه يأكل من بعض أضلاع صديقه:

صديق لنا من أبرع الناس في البخل
وأفضلهم فيه، وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه
فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلما جلسنا للطعام رأيته
يرى أنه من بعض أعضائه أكلي
ويغتاظ أحياناً ويشتم عبده
وأعلم أن الغيظ والشتم من أجلي
فأقبلتُ أستلُّ الغذاء مخافة
وألحاظ عينيه رقيب على فعلي
أمد يدي سراً لأسرق لقمة
فيلحظني شزراً، فأعبث بالبقل
إلى أن جنت كفي لحتفي جناية
وذلك أن الجوع أعدمني عقلي
فجرَّت يدي للحين رجل دجاجة
فجُرت، كما جرَّت يدي رجلها، رجلي
وقدم من بعض الطعام حلاوة
فلم أستطع فيها أُمِرُّ ولا أخلي
وقمت لو اني كنت بيّتُّ نيَّةً
ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

*****

● كان لبعض المغفلين حمار فمرض الحمار، فنذر إن عوفي حماره صام عشرة أيام، فعوفي الحمار فصام. فلما تمت مات الحمار.

فقال: هذا والله لا يقبل، لأحتسبهن من رمضان.

ولكن رمضان إلى هنا يجيء.. والله لآخذن من نقاوته عشرة أيام لا أصومها.

*****

● كان المطلب بن محمد على قضاء مكة، وقد كان عنده امرأة قد مات عنها أربعة أزواج، فمرض مرض الموت فجلست عند رأسه تبكي وقالت: إلى من توصي بي؟ قال: إلى السادس الشقي.

*****

● رفعت امرأة ولدها للقاضي واشتكت له كثرة عُقوقه لها، فقال له: يا بن أخي، أما سمعت الله يقول: ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾؟ فلطمها وقال لها: متى قلت لك أنا «أفٍ»؟!

*****

● قال بعضهم لأبي العيناء: يا قرد! فقال: وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه.

*****

● أعطت امرأة جاريتها درهماً وقالت: اشتري به هريسة، فرجعت وقالت: يا سيدتي ضاع الدرهم، فقالت: يا فاعلة أتكلميني بفمك كله وتقولين: ضاع الدرهم، فأمسكت الجارية بيدها نصف فمها وقالت بالنصف الآخر: وانكسرت الغضارة.

*****

• قال رجل لجارية أراد شراءها: كم دفعوا فيك؟ فقالت: وما يعلم جنود ربك إلا هو!!.

*****

• قال أبو سجادة الفقيه في شعر له:

ومنا الوزير ومنا الأمير

ومنا المشير .. ومنا أنا

*****

• قال أبو دحية القاص: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف هملاج!!. فقالوا له: إنّ يوسف لم يأكله الذئب! قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

*****

• سأل حافظ إبراهيم محمد إمام العبد (وكان أسود اللون): لماذا لا تتزوج؟

فقال له:

يا خليلي وأنت خير خليل

لا تَلُم راهباً بغير دليل

أنا ليل وكل حسناء شمس

فاجتماعي بها من المستحيل

*****

• بات رجل في دار قوم فانتبه صاحب الدار بالليل فسمع ضحك الرجل في الغرفة!! فصاح به: يا فلان، قال: لبيك، قال: كنت في الدار

فما الذي أرقاك إلى الغرفة؟! قال: تدحرجت، فقال: الناس يتدحرجون من فوق إلى أسفل فكيف تدحرجت أنت إلى فوق؟

قال: فمن هذا أضحك!!.

*****

● كان سابور وزير بهاء الدولة يكثر الولاية والعزل، فولى بعض العمال عكبراً فقال له: إيها الوزير، كيف ترى أستأجر السفينة مصعداً ومنحدراً؟! فتبسم وقال: امض ساكتاً.

*****

● قال بعضهم: خرجتُ ليلةً من قرية لبعض شأني، فإذا أنا بأعمى، على عاتقه جرّته، وبيده سراجٌ، فلم يزل يسير حتى انتهى إلى النهر، وملأ جرّته وعاد. فقلت له: يا هذا، أنت أعمى، والليل والنهار عندك سواء، فما تصنعُ بالسِّراج؟ قال: يا كثير الفضول، حملتُه لأعمى القلب مثلك، يستضيء به لئلا يعثر في الظلمة، فيقع عليّ، وأقعُ، وتتكسر جرّتي!.

*****

● يقول الشاعر أحمد قنديل:

قال عمر بن أبي ربيعة ألهمه الله الصبر والسلوان، وكانت حبيبته هند قد اقترضت منه ريالاً سعودياً، وأرسلت مولاها سعداً مندوباً لأداء هذه المهمة فلما أعطاها ماطلته، فداعبها بهذه القصيدة - والذي يقول غير هذا ما يعرف شيء -:

«ليت هنداً أنجزتنا ما تعد

وشفت أنفسنا مما تجد»

وأتتنا مثل ما قد ذهبت

بريالي ففؤادي في كَمَدْ

أرسلت سَعْداً إلينا تبتغي

سُلفةً من بعد يومٍ تُسْتَرد

ولقد أعطيته ما طلبت

ودموعي فوق خدي كالبَرد

فغدا يعدو ، ولبي خلفه

خافق من خوفه أن لا يُرد

ومضى يومٌ ويومٌ بعده

ثم يوم ، وغداً يوم الأحد

وريالي فيه يا هند كما

فيك من حسنٍ تعدّى كل حد

وجهه كالشمس نوراً وله

رفّةٌ في صوته جُوّ البلد

وإذا بالمزح قد دَحْرَجتُه

راح يجري كغزالٍ قد شرد

وله في كل جنبٍ نخلةٌ
سعفٌ فيها وزهو يا ولد
وهو عندي كجنيهِ ذهبٍ
وله حبي كهند بل أشد
آه لو عاد إذنْ قبَّلتُه
مائةً في كل وجه بالعدد
وَتَحَزَّمْتُ على قلبي به
فوق صدري ثم أحكمت العُقد
فمتى يا هند تعطيه لنا
فلقد طال اشتياقي ولقد
«كلما قلتُ متى ميعادنا
ضحكت هندٌ وقالت : بعد غد»

*****

● قال رجل لابن شبرمة: من عندنا خرج العلم إليكم، فأجاب: نعم، ثم لم يرجع إليكم!!.

*****

● قال العوام بن حوشب: قال لي عيسى بن موسى: من أرضعتك؟ قلت: ما أرضعتني قط سوى أمي، فقال: قد عرفت والله، هذا الوجه القبيح لا يصبر عليه سوى أمك.

*****

● أهدى الروائي الكاليفورني درو هندرسون كتابه الأخير إلى زوجته على هذا النحو: إلى زوجتي التي لولا غيابها لما أتيح لي وضع هذا الكتاب.

وقدم الروائي ب.ج. وودهاوس إحدى رواياته قائلاً: إلى ابنتي العزيزة التي لولا عنايتها المتواصلة وعونها المستمر لما استغرقت كتابة هذه الرواية إلا نصف الوقت الذي استغرقته.

*****

● دخل أعرابي الكوفة، فقصد تماراً، فقال له:

رأيتُك في النوم أعطيتني
قواصير من تمرك البارحة
فقلت لصبياننا: أبشروا
برؤيا رأيتُ لكم صالحة
قواصيرُ تأتيكمُ غدوةً
وإلا فتأتيكمُ رائحة
فأم العيال وصبيانها
قلوبُهُمُ نحوها طامحة
فقيل لي: «نعم» إنها حلوة
وَدَعْ عنك «لا»؛ إنها مالحة

فدفع إليه قوصرة، وقال له: لا تعد ترى مثل هذه الرؤيا مرة أخرى.

*****

● كان أحد الأدباء قد أعطى خفّه إلى إسكاف ليصلحه، فأهمله الإسكاف مدة طويلة، وكان صاحبه يمرّ عليه كل يوم ليأخذ خُفَّه. فإذا رآه الإسكاف قادماً من بعيد أخذ الخف وغمسه في الماء ليوهم الرجل أنه يقوم بإصلاحه. فقال له الأديب ذات يوم: إني أعطيتك الخف لتصلحه لا لتعلمه السباحة!!.

*****

● كان الأعمش قاعداً في ناحية، وجلس جماعة في ناحية أخرى، وفي الموضع مستنقع من ماء المطر؛ فجاء رجل يرتدي ثياباً سوداً، فلمّا بصر بالأعمش، وعليه فروة حقيرة، قال: قُم عبرني الماء. وجذبه بيده، فأقامه وركب فوق ظهره، وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ فمضى به الأعمش حتى توسط المستنقع، ثم رمى به، وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾. ثم خرج، وتركه يتخبّط في الماء!!.

*****

● قيل: إنّ امرأةً عجوزاً مرضت، فأتاها ابنها بطبيب، فرآها الطبيب متزيّنةً بأثواب مصبوغةٍ، فعرف ما بها، فقال الطبيبُ: ما أحوجها إلى زوج! فقال الابن: وما حاجةُ العجائز للأزواج! فقالت الأم العجوز: ويحك! الطبيبُ أعلمُ منك على كلّ حال!!.

*****

• نزل بصريٌّ على مدني وكان صديقاً له، فأطال المُقام عنده، فقال المدني لامرأته: إذا كان غداً فإني أقول لضيفنا: كم ذراعاً تقفز؟ ثم أقفز، فإذا قفز هو فأغلقي الباب! فلمَّا كان من الغد، قال له المدني: كيف قفزُكَ يا أبا فلان؟ قال: جيّد! فعرض عليه أن يقفز معه، فأجابه. فوثب المدنيُّ من داره إلى الخارج أذرُعاً، وقال للضيف: ثب أنت! فوثب الضيف إلى داخل الدار ذراعين. فقال له: وثبتُ أنا إلى خارج الدار أذرعاً ووثبت أنت إلى داخلها ذراعين؟! فقال الضيف: ذراعان في الدار خير من أذرع خارجها.

*****

• قال بعضهم: بتُّ عند رجل من أهل الكوفة الموسرين، وله صبيان نيام، فرأيته في الليل يقومُ فيقلّبهم من جنب إلى جنب. فلمّا أصبحنا سألته عن ذلك. فقال: هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار، فيمريهم الطعام، ويصبحون جياعاً، فأنا أقلبهم من اليسار إلى اليمين لئلا ينهضم ما أكلوه سريعاً!

*****

• يوصف بعض الموالي بالذكاء وحضور البديهة في المواقف التي تتطلب ذلك. فقد روى سعيد بن يحيى الأموي عن أبيه قال: كان فتيان من قريش يرمون فرمى واحد منهم، من ولد أبي بكر وطلحة. فأصاب الهدف، فقال: أنا ابن عظيم القريتين (مكة والمدينة). فرمى آخر من ولد عثمان. فأصاب الهدف فقال: أنا ابن الشهيد عثمان بن عفان. ورمى رجل من الموالي. فأصاب الهدف، فقال: أنا ابن من سجدت له الملائكة. فقالوا له: من هو؟ فقال: آدم.

*****

● دعا بعضهم ضريراً إلى داره. فلما رفع الطعام بين يديه، وأحضر الفاكهة والحلوى وغسلا أيديهما، أراد الضرير الانصراف. فقال له صاحب الدار: اقرأ لنا شيئاً من القرآن. قال: والله ما حفظت من القرآن غير الفاتحة وربما غلطت فيها. قال: أسمعنا شيئاً من الحديث. قال: ما حفظت منه شيئاً.

قال: فعلك تسمعنا بعض أشعار العرب. قال: لم أرو من الشعر بيتاً.

قال الرجل: عجباً، هم يقولون: إن العميان صناديق العلم.

قال الأعمى: ما هذا من العجب، أما رأيت صندوقاً فارغاً.

*****

● تنبأ رجلٌ في أيام المأمون وادّعى أنَّه إبراهيم الخليل، فقال له المأمون: إنّ إبراهيم كانت له معجزات وبراهين. قال: وما براهينه؟ قال: أُضرمت له نار وأُلقي فيها فصارت برداً وسلاماً، ونحن نُوقد لك ناراً ونطرحك فيها، فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنَّا بك. قال: أريد واحدة أخفّ من هذه. قال: فبراهين موسى؟ قال: وما براهينه؟ قال: ألقى عصاه فإذا هي حيةٌ تسعى، وضرب بها البحر فانفلق، وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء. قال: وهذه أصعب من الأولى. قال: فبراهين عيسى؟ قال: وما براهينه؟ قال: إحياء الموتى. قال: مكانك، قد وصلت. أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة. فقال القاضي يحيى (وكان حاضراً هناك): أنا أوّل من آمن بك وصدَّق!

*****

• كان تيمورلنك أعرج. ولما انتصر على با يزيد الأعور، سلطان الأتراك، وأَسَرَه، أحضره بين يديه. فلما رآه تيمورلنك، استولت عليه نوبة ضحك شديدة. فوبّخه السلطان على إهانته، واستخفافه فأجابه: إني لا أهزأ بشقائك! ولكنني لم أتمالك نفسي من الضحك، عندما فكّرت، كيف يتصرف الله بأقدار البشر، فيسلم زمام الممالك إلى أعرج مثلي وأعور مثلك.

*****

• دخل خالد بن صفوان الحمام، وكان فيه رجل ومعه ابنه، فأراد الرجل أن يسمع خالداً ما عنده من البيان والنحو، فقال لابنه: يابني إبدأ بيداك ورجلاك. والتفت إلى خالد قائلا: يا أبا صفوان. هذا كلام قد ذهب أهله! فكان ردّ خالد: هذا كلام ما خلق الله له أهلا!.

*****

• دخل رجلان على قراقوش، وادعى أحدهما على الآخر أنه عض أذنه.

فسأله قراقوش عن ذلك فقال:

إنه هو الذي عض أذن نفسه.

فقام السلطان ودخل الحريم، وجلس على كرسي، وأخذ يحاول أن يعض أذنه، فلم يفلح في ذلك، ومال به الكرسي من كثرة التفاته

ومحاولاته، فوقع على يده فانكسرت. وخرج وهو بهذه الحالة، وأمر بضرب المدعى عليه، وقال:

أنت الذي عضيت أذن الرجل هذا، وكسرت ذراعي زيادة على ذلك.

*****

ـ كان لهذا الشاعر صديق اسمه (علي) وكنيته (أبو فياض)، وكان عنده ثوران (خميس) و(زيتون) وعجل صغير اسمه (عنتر) وحينما أخبر النجيب يوماً بموت (خميس) أرسل هذه الأبيات على سبيل التعزية:

ليت البهائم في بدو وفي حضر
كانت فداء خميسٍ سيد البقر
ثور حوى من خصال الخير أحسنها
وفاق فيها كثيراً من بني البشر
ما ضل يوماً عن المرعى ولا صدرت
أذية منه في وردٍ ولا صدر
ولا تكاسل يوماً في فلاحته
ولا تمطى بها من شدة الضجر
ولا شكاه إلى أصحابه أحد
أدلى إلى زرعه شيئاً من الضرر
ولا دعاه بأيام الربيع إلى
نطح السوائم داعي البغي والبطر

مـذ كـان عـجـلاً بدت آثار نخـوتِه

ونخـوة الثـور لا تـخـفـى من الصـغـر

وحين عُـمُـر لم يعـجـز ولا ظهـرت

عليـه بين المواشي هيـئـة الكبـر

مـا عـذر زيتـون إن لـم تجـر أدمـعـه

دمـاً لفـقـد خـمـيس مـدةَّ العُـمُـر

إذ مـا رأى مـثـلـه في أرض عـاملة

ثوراً يُمـاثلـه في المحـرث العـسـر

لئن شـجـتك أبا فـيـاض فـرقـتـه

فـقل رضـا بـقـضـاء الله والقـدر

وقل لفـيـاض إن فـاضت مـدامـعـه

حـزناً عليـه: دع الأحـزان واصطبـر

بُنيَّ لا خيـر في الدنيـا وعيـشـتـهـا

فـإنمـا هـي دار الـهـمِّ والـكـدر

وليـبق زيتـون في خـيـر وعـافـيـة

وعنتـر مـا شـدا طيـر على شـجـر

*****

● يقول الرصافي في قصيده له:

يـا قــوم لا تـتـكـلـمـوا

إن الـكـلام مـحـرم

نامــوا ولا تسـتـيـقـضـوا
مـــا فـــاز إلا الـنـوّم
وتـأخـــروا عـن كـل مــا
يقــضي بأن تتــقــدمــوا
ودعــوا التــفــهم جــانبــاً
فــالخـيـر أن لا تفـهـمـوا
وتثــبــتــوا في جـــهلكم
فـــالشــر أن تتــعلمــوا
أمـــا الســيــاســة فــاتركــوا
أبــداً وإلا تــنــدمـــوا
إن الســيــاســيــة ســـرها
لـو تـعـلـمـــون مـطـلـسـم
وإذا أفــضـــتم فـي المبـــا
ح من الحـديث فـجـمـجـمـوا
والعــدل لا تـتــوســمــوا
والظـلـم لا تـتــجــهــمــوا
مـن شـــاء مـنكـم أن يـعـــيـ
ـش الـيــــوم وهــو مـكـرم
فـلـيــمـسِ لا ســمــع ولا
بَـصَـــرٌ لـديـه ولا فـم

لا يستحق كرامة
إلا الأصم الأبكم

ودعوا السعادة إنما
هي في الحياة توهم

فالعيش وهو منعَّم
كالعيش وهو مذمم

فارضوا بحكم الدهر مهـ
ـما كان فيه تحكم

وإذا ظُلمتم فاضحكوا
طرباً ولا تتظلموا

إن قيل: هذا شهدكم
مرٌّ فقولواْ: علقم

أو قيل: إن نهاركم
ليل، فقولواْ: مظلم

أو قيل: إن ثمادكم
سيل، فقولوا: مفعم

أو قيل: إن بلادكم
يا قوم سوف تقسم

فتحمدوا وتشكروا
وترنحوا وترنموا

*****

● كان أعرابيّان يطوفان بالبيت. فكان أحدهما يقول:

اللهمّ هب لي رحمتك، فاغفر لي، فإنك تجد من تعذّبه غيري، ولا أجد من يرحمني غيرك.

فقال الآخر:

اقصد حاجتك ولا تغمز بالناس.

*****

● قال محمود غنيم يداعب صديقه محمد الأسمر ويتهمه بالبخل:

صم إذا ما الضيف جاءك
وامنح الضيف عشاءك
واجعل الصوف غطاء الضـ
ـيف والسقف غطاءك
لا تصن زادك في الشو
رى وفي المريخ ماءك
يا صديقي قد فحصنا
ك فكان البخل داءك

خـــــذ نقــــيع الجـــود واشـــريـ
ـه تجـــــد فـــــيـــــه دواءك
أنـت بـالـبــــخـل مــــريض
نـســـأل الـلـه شــــفـــاءك

وحين اطلع محمد الأسمر على هذا الهجاء والاتهام بالبخل رد عليه فقال:

يـا صـــديقي أنـت فـي شـــعـ
ـــــرك لــم تــلــبــس رداءك
يـا كـــريم الـعـــصـــر مـــا أجـــمـ
ـــل فـي الجـــــو ادعـــــاءك
شـــد مـــا أبقـــيت شــيطا
ن قـــــوافــــيـك وراءك
قــد عــرفناك صــغـــيـــراً
وتـبـــينا ســـخــــاءك
فـــاحـــمـــد الله على الســتـــ
ـــــر ولا تــكـشـف غـطــاءك
صـــرت مـــحـــمـــوداً جــديداً
بـعــــد مــــا داويـت داءك
فـــــأطـال الـلـه لـلـجــــو
د الـكـلامـي بـقـــــــاءك

*****

● قيل لأعرابي:

إن شهر رمضان قد قدم.

فقال:

والله لأبدّدن شمله بالأسفار.

*****

● ذهب فخري البارودي إلى بيروت سنة ١٩٥٢م - كما يقول في ديوانه «قلب يتكلم» - ونزل في فندق «مشهور»، وكان تعباً وأراد أن ينام، ولكن صخب الموسيقا من الملهى المجاور حال دون ذلك. فلما هدأت الموسيقا بعد منتصف الليل بساعات، أخذ صرصور ثقيل يرسل غناءه وألحانه. فإذا ما ترك سريره وهبَّ ليبحث عنه سكت. فإذا عاد البارودي إلى سريره استأنف الصرصور غناءه. وفي الصباح كانت هذه الأبيات:

يا ليلة النحس في بيروت حالفني

فيها النعاس وكرب النفس مشؤوم

لا البق، لا القمل، لا البرغوث أزعجني

لا البرغش الفظ، لا الذبان، لا البوم

لكنما صرَّ صرصور فأقلقني

وطار نومي وجفني منه محروم

في أول الليل صوت «الجاز» أرقني

والقلب في الصدر مهموم ومغموم

مـا كـاد يسكت قـرع الطبل وا أسـفي
حـتى سـمـعت صـريراً كله شـوم
في غـرفـتي حل صـرصـور فـأقلقني
والجـسم من صـوته المسـموم مسـموم
يـصـرّ صـراً، فـإن أنهض «لألقطه»
يـسكت، وإن نمت يـسـتـهـويه ترنيـم
وإن رجـعت أعـاد العـزف مـتـصـلاً
كـأنما ترنيـمـه للغـيـظ تنغـيم
يا ليلة لم أذق طعـمـاً لغـفـوتهـا
قـضـيـتـهـا وأنا بالغـيـظ مـحـموم

*****

● قال المغيرة بن شُعبة: ما غلبني أحدٌ قطّ إلا غلام من بني الحارث بن كعب، وذلك أني خطبتُ امرأة من بني الحارث، وعندي شابٌ منهم، فأصغى إليَّ، فقال: أيها الأميرُ، لا خير لك فيها. قلت: يا بن أخي، وما لها؟ قال: رأيتُ رجلاً يقبّلها، قال: فبرئتُ منها. فبلغني أن الفتى تزوجها، فأرسلتُ إليه فقلت: ألم تخبرني أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ قال: نعم، رأيتُ أباها يقبلها!

*****

● قال أشعب:

جاءتني جارية بدينار وقالت: هذا وديعة عندك. فجعلتُه بين ثني الفراش، فجاءت بعد أيام وقالت:

بأبي أنت! الدينار.

فقلت:

ارفعي فراشي وخذي ولده فإنه قد ولد.

وكنت قد تركت إلى جنبه درهماً، فأخذت الدرهم وتركت الدينار، وعادت بعد أيام فوجدت معه درهماً آخر فأخذته، وفي الثالثة كذلك، وجاءت الرابعة فلما رأيتها بكيتُ، فقالت: ما يبكيك؟

قلت:

مات دينارك في النفاس!!

فقالت: وكيف يكون للدينار نفاس؟!

قلت: يا فاسقة! تصدقين بالولادة ولا تصديق بالنفاس؟!

*****

● قُدِّم إلى أعرابيّ موز، فجعل يقلّبه ويقول:

لا أدري ممن أتعجب، ممّن خاطه، أو ممّن حشاه؟!.

*****

● أسرت مُزَينةُ ثابت بن المنذر الخزرجي والد حسان، وقالوا: لا نأخذ فداءه إلا تيساً. يريدون تحقيره بذلك، فغضب قومه، وقالوا: لا نفعل هذا. فأرسل إليهم ثابت أن يعطوا مزينة ما طلبوا. فلما جاؤوا بالتيس قال ثابت: أعطوهم أخاهم، وخذوا أخاكم. فسموا (مزينة التيس).

*****

● قال عمرو بن ميمون:

تغديت يوماً عند الكندي، فدخل عليه رجل كان جاراً وصديقاً لي، فلم يعرض عليه الطعام، ونحن نأكل، فاستحييت أنا منه، فقلت: سبحان الله، لو دنوت فأصبت معنا. قال: قد والله فعلت. قال الكندي: ما بعد الله شيء.

قال: فكتفه والله كِتافاً.

*****

● بينما معاوية بن مروان بن الحكم واقف بدمشق ينتظر عبدالملك أخاه على باب طحانٍ حماره يدور بالرحى، وفي عنقه جُلجُلٌ، قال للطحان: لم جعلت في عنق هذا الحمار جلجلاً؟

قال: ربما أدركتني سآمة أو نَعسَةٌ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أن الحمار قد توقف، فصحت به ليمشي، قال معاوية: أرأيت إن توقف ـ ثم هز رأسه هكذا وهكذا، وجعل يحرك رأسه يمنة ويسرة ـ فما يدريك أنه متوقف؟

قال الطحان: ومن لي بحمار يعقل مثل عقل الأمير.

*****

● ادعت امرأة النبوة على عهد المأمون، فأحضرت إليه، فقال لها: من أنت؟

قالت: أنا فاطمة النبية، فقال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمد ﷺ؟

قالت: نعم، كل ما جاء به فهو حق. فقال لها المأمون: قال محمد ﷺ: (لا نبي بعدي).

قالت: صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال: لا نبية بعدي؟ فقال المأمون لمن حضره: أما أنا فقد انقطعت، فمن كانت عنده حجة فليأت بها، وضحك حتى غطّى على وجهه!

*****

● هذا موظف مغبون يصور حالته فهو يكد ويعمل واصلاً الليل بالنهار، غير واصل إلى جزء من حقه الصريح، وزوجه تعيش في معزل عما يعانيه لا يهمها إلا أن تحيا في المظاهر حياةَ الموسرين فيقول:

خلت الجيوبُ من النقود
وعَشعشت فيها العناكب
وسطا الغلاء فغصت في
بحر الديون إلى المناكب
وشكا الموظف واستغاث
فلم يجد في الحكم صاحب
طلب الزيادة في المعاش
فكافؤوه بحسم راتب

وقـــــست بـه نوب الحـــيــــاة

فــــصــــار في عـــدد الـنـواصب

والـزوج تقـــــتـلـه الهـــمــــوم

وزوجــــــــــــــه تــزجــي المــآدب

لا تــعـــــــــــجــبن لمــا تــراه

ونــحــن فــي زمـن الـعــــجـــائــب

*****

● تكلم ربيعة الرأي يوماً فأكثر، فكأن العجب داخله، وكان أعرابيّ بجانبه، فأقبل إلى الأعرابي فقال:

ما تعدّ البلاغة يا أعرابي؟

فقال:

قلّة الكلام وإيجاز الصواب.

قال:

فما تعدّ العيّ؟

قال:

ما كنت فيه منذ اليوم.

فكأنمّا ألقمه حجراً.

*****

● حُكي أن غلاماً لقي أبا العلاء المعري فقال: من أنت يا شيخُ؟ قال: فلانٌ.

قال: أنت القائل في شعرك:

وإني وإن كنت الأخير زمانه

لآت بما لم تستطعه الأوائل

قال: نعم.

قال يا عمَّاه، إنَّ الأوائل قد رتَّبوا ثمانيةً وعشرين حرفاً للهجاء، فهل لك أن تزيد عليه حرفاً؟ فدهش المعري من ذلك، وقال: إن هذا الغلام لا يعيشُ لشدَّة حذقه وتوقُّد فؤاده.

*****

● صعد أبو العنبس منبراً من منابر الطائف. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد.. فارتج عليه، فقال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: لا. قال: فما ينفعكم ما أريد أن أقول لكم؟ ثم نزل. فلما كان في الجمعة الثانية صعد المنبر، وقال: أما بعد.. فارتج عليه. قال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: نعم. قال: فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم؟ ثم نزل. فلما كانت الجمعة الثالثة قال: أما بعد... فارتج عليه. قال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: بعضنا يدري وبعضنا الآخر لا يدري. قال: فليخبر الذي يدري منكم الذي لا يدري. ثم نزل.

*****

● كان أبو نواس خارجاً من دار الخلافة، فتبعه الرَّقَاشي الشاعر، وقال له: أبشر أبا علي، إن الخليفة قد ولاك في هذه الساعة ولاية.

قال أبو نواس: وما هي، ويلك؟ قال الرقاشى: ولاك على القردة والخنازير. قال أبو نواس: إذاً فاسمع وأطع.

*****

● سئل ذات يوم الشاعر القروي، رشيد سليم الخوري عن السبب الذي دفعه إلى حلق شاربيه، فأجاب بهذه الأبيات الضاحكة:

قالوا: حلقت الشاربين
ويا ضياع الشاربين
فأجبتهم: بل بئس ذا
ن ولا رأت عيناي ذين
الشاغلين المزعجين
الطالعين النازلين
ويلي إذا ما أرهفا
ذنبيهما كالعقربين
إن ينزلا لجما فمي
أو يصعدا التطما بعيني
وإذا هما بسط الخوا
ن تراهما سبق اليدين

فــــــــإذا أردت الأكــل يــقـــــــ

ــتــســمـــان بينهـــمـــا وبيني

وإذا أردت الــشـــــــــــرب يمـتـــ

ـصـــان كـــالاســـفـنجـــتين

فكأنـنـي بـهــــــمـــــا وقــــــد

وقـــفـــا بـبـــاب المنخــــرين

عـــبـــدان من أشـــقى العـــبــيـــ

ــد تـقـــاضـــيـــا ملكاً بدين

*****

• نظر الأصبهاني إلى أبي هَفّان وهو يحدث رجلاً في السرّ. فقال الأصبهاني: فيم تكذبان؟ قال أبو هفان: في مدحك.

*****

• كان أحد الشعراء المعاصرين ذات يوم متوجهاً إلى قريته مع رهط من إخوانه، فتصدت لهم اللصوص في الطريق؛ لسلبهم فسلبوا رفاقه، ولما أرادوا سلبه لم يجدوا في جيوبه سوى وريقات فيها بعض الأشعار، فوصف هذه الحادثة فقال:

قطع اللصــوص لي الدروب وقــبلهم

قطعت حكومـــتـــهم عليَّ دروبي

خصمي الحكومة واللصوص كلاهما

شاكي السلاح لحرب كل أديب

ودنا إليَّ من اللصوص ملثم

صعب المراس يكرُّ غير هيوب

أمسى يفتشني وأسخر ضاحكاً

فسوى القصائد لم يكن بجيوبي

وأطال يبحث في الجيوب فلم يجد

شيئاً فودعني بطرف غضوب

وخجلتُ منه حين قال لصحبه

ما أشبه السلاب بالمسلوب

*****

• دخل ابن الجصاص يوماً على ابن الفرات الوزير، الخاقاني، وفي يده بطيخة كافور، فأراد أن يعطيها الوزير ويبصق في دجلة، فبصق في وجه الوزير، ورمى البطيخة في دجلة. فارتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص، وتحير، وقال:

والله العظيم لقد أخطأت وغلطت، أردت أن أبصق في وجهك، وأرمي البطيخة في دجلة، فقال له الوزير:

وكذلك فعلت يا جاهل!!.

*****

● حمل غلام ابن الجصاص إليه يوماً بفرخ فقال:

انظروا إلى هذا الفرخ ما أشبهه بأمه، ثم قال:

أمه ذكر أم أنثى؟!.

*****

● قال ابن خلف: قصَّ قاص بالمدينة فقال:

رأى أبو هريرة على ابنته خاتم ذهب، فقال: يا بنية، لا تتختمي بالذهب فإنه لهب، فبينا هو يحدثهم ، إذ بدت كفه، فإذا فيها خاتم ذهب فقالوا له:

تنهانا عن لبس الذهب وتلبسه؟

فقال: لم أكن ابنة أبي هريرة.

*****

● أهدى الشاعر المهجري نعمة فزان إلى صديقه الشاعر المهجري توفيق صفوان حذاء؛ في علبة أنيقة، وكتب عليها هذين البيتين:

لقد أهديت توفيقا حذاء

فقال الحاسدون وما عليه

أما قال الفتى العربي يوما

شبيه الشيء منجذب إليه

فرد توفيق عليه بهذين البيتين:

لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته

لكنت أسألك الدنيا وما فيها

لكني قبلت هذا النعل معتقدا

أن الهدايا على مقدار مهديها

*****

● قال أحمق للشعبي:

ما تقول ـ أصلحك الله ـ في رجل شتمني أول يوم من رمضان؛ هل يؤجر؟

قال: إن كان قال لك: يا أحمق؛ فإني أرجو له.

*****

● حَضَرتْ كلية اللغة العربية لكرة القدم لمباراة فرقة المعهد ، وكان أن تسبب أفراد فريق المعهد في هزيمة منكرة لهم ، وذلك بسبب تهاونهم وغرورهم ، فنظم الشاعر هاشم الرفاعي - رحمه الله - هذه القصيدة تخليدًا لهذه الهزيمة وسخرية من أفراد فريق المعهد المنهزم .. وذلك في عام ١٩٥٣ م .

يا خيبةً قَدّروها بالقناطير

جاءت لنا في نهارٍ كالدياجير

إني ذهبتُ إلى النادي فطالعني

مقطّب الوجهِ مُغبرٌّ الأسارير

يبكي ويندبُ من خـــابوا بملعـــبه

وفي المبـــاراة صـــاروا « كـــالطـراطيـــر»

من كلٍّ « شـحطٍ » أطال الله قـامـتَـهُ

يكادُ يَصلُحُ في جـــرٍّ « الحناطيـــر»

مـــا كـــانَ مُنتَظراً هذا المُصـــاب لكمْ

يا فــرقــةً كـونَّوها من « خناشــيـر»

مـا للغـبيِّ « ولِلْفُـتْـبُـول » يلعـبُـهـا

يا ليــتــهم عَلَّقــوكم في الطنابيـر

أخــزاكم الله قــد جـئـتمْ لمعـهـدنا

بالعـــار يا فــتــيــة مــثلَ « المواجـيـرِ»

في « الماتش» لم تَلْعـبوا لكنْ رأيتكمـو

في البـــرتقـــال نزلتم كـــالمناشـــيـرِ

لو كنتُ أعلمُ أن الخـيـبـةَ انقـسـمت

من حظِّكم في سِـــجـــلاَّتِ المقـــادير

لكـنـتُ جـــئتُ « بطبـــالٍ » يـزفكمُ

ورحتُ أتلو على لحن المزامـــيـــرِ

« لا بأس بـالقــوم من طولٍ ومن غلظٍ

جـسمُ البـغـالِ وأحـلامُ العـصـافيـرِ»

*****

● وقف سائل على باب وقال: تصدقوا عليَّ، فإني جائع قالوا: إلى الآن لم نخبز. قال: فكفٌّ من سويق. قالوا: ليس عندنا سويق. قال: فَشربةٌ من ماء، فإني عطشان. فقالوا: ما أتانا السّقا، قال: فيسير من الدهن أجعله في رأسي. قالوا: من أين لنا دهن؟ فقال: فما قعودكم هنا؟! قوموا اسألوا معي!!.

*****

● قال رجل لندَّاف: لو وضعت إحدى رجليك على جبل حراء، والأخرى على طور سيناء، ثم أخذت قوس قزح تندف به قطن الغمام في جيوب الملائكة، ما كنت إلا ندّافا.

*****

● نزل يهودي على أعرابي فمات عنده، فقام الأعرابي يصلي، فقال: اللهم إنه ضيف، وحق الضيف ما قد علمت، فأمهلنا إلى أن نقضي ذمامه، ثم شأنك والكلب.

*****

● سأل أعرابي على باب، فقال له صبي من الدار: بورك فيك. فقال له: قبح الله هذا الفم، فقد تعلم الشر صغيراً.

*****

● قال أصحاب محمد بن الجهم يوماً له: نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار رغبتك، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استحسانك لقيامنا؟ قال: علامة ذلك أن أقول: يا غلام، هات الغداء.

*****

● يقول الشاعر أسعد رستم يصف حال العشاق قبل وبعد الزواج، وهي قصيدة رائعة حقاً، وصادقة في موضوعها ، وما أجمل ما اختتمها به.

قَبْل الزواج يكون المرءُ محترقاً
على التي بهواها قلبه عَلِقاً

والصبُ في قلبه نارٌ مُؤجَّجةٌ
وإنْ يكنْ عند من يهواه قد دنقا

لوحال دون المنى طودٌ لحاول أَنْ
يكون بالفعل ذاك الطود مخترقا

وكلما غَلَّقوا باباً يمرُّ بهِ
سعى لكيْ يفتح الباب الذي غُلِقا

تراه يُنفق أموالاً قضى زمناً
من الجبين عليها يسكب العرقا

ويهجر الأهل والأصحاب أجمعهم
لكي يكون بها في الحبِّ ملتصقا

يقضي النهار ولاشغل لديه سوى
ذكرى الحبيب ويقضي ليله أرقا

وقــــد يموت وكَمْ صَبٌّ صــبــابتـــه
جنت عليــه فـمــا أبقت لـه رمـقـــا
لو أنهـــا ســألتـــه حـــاجـــةً لجـــرى
كـالسـيل مندفـقـاً والسـهم منطلقـا
وكم تبـــسَّم مـــســروراً بِطَلْعـــتـــهـــا
وكم تـنـهَّـد مـشـتـاقـاً وكم شـهـقـا
وَقَـدْ يغـار عليــهـا إنْ هـيَ الْتـفـتت
إلـى ســواه فــيـــمـــسي بـالـه قلقـا
يـشـــري لهـــا كل مـــاتهـــواه من تحفٍ
يـشـــري الأســـاور والأطواق والحلقـــا
حـــتـى إذا وهبــتـــه قلبــهـــا فـــغـــدا
زوجـاً لـهـا وعلـى صـدق الـولا اتفـقـا
قلّت مـــحـــبـــتـــه للحـــال وانقلبت
بغـضـاً ولم يبق من ذكـرٍ لما سـبـقـا
كـــــــأنـه لم يـنـل مـن دهـره أربـاً
لأجله قلبـه الولهـان قـد خـفـقـا
كـأنّمـا لم يطب نفـسـاً بزوجـتـهِ
كـلاّ ولم يقـتــرن يومــاً ولاعـشـقـا
فـصـار يشـتـمـهـا ظلمـاً ويلطمـهـا
وربّمـا وَقْتَ غـيظٍ رأْسَـهَا سَـحَـقَـا

أقلُّ حـادثةٍ منهـا تُهـيِّـجـهُ
حـتى إذا عـارضت قـولاً له حنقـا
يـريد منهـا طعـامـاً إن تأخّـر عن
مـيعـاده لحظةً في وجـهـهـا بصـقـا
كـأنما هي من بعض العـبـيـد له
والعـبـدُ في هذه الأيام قـد عُـتِـقـا
يغـيب عن بيتـه ليلاً فـيتـركـهـا
وحـيـدةً فـتـقـاسي وحـدةً وشـقـا
حـتى إذا سـألتـه أين كـان أبى
ردَّ الجواب عليهـا والعـصا امـتـشـقـا
يقـول : قـومي أيا بنت الكلاب إذاً
وقطِّبي بنطلوناً لي فَـقَـدْ مُـزِقـا
إجْلي اطبخي كنِّسي هيَّا احملي ولداً
فـإنه يقلق الجـيـران إن زعـقـا
وهكذا تـسـتـمـر الحـال بينهـمـا
وربَّمـا بعـد هذا كلِّه افـتـرقـا
بئس الزواج زواجٌ لاوفـاق بـه
ولابقـاء بلاحبٍّ يُعـدُّ بَقـا
المرء يطلب رزقـاً ليس يملكه
حـتى إذا ناله لم يرض مـارُزِقـا

*****

● اعتنق أحدهم الإسلام فولي الوزارة، فصار أبو العيناء إلى بابه، فقيل له: «إنه يصلي». فقال: «إنه معذور.. لكل جديد لذة».

*****

● مر أبو العيناء يوماً على دار عدوٍ له فقال: ما خبر أبي محمد؟ قالوا: كما تحب.

قال: فما لي لا أسمع الصياح والعويل؟!.

*****

● قال غلام للصبيان: هل لكم أن يفلتنا الشيخ اليوم؟

قالوا: نعم.

قال: تعالوا لنشهد عليه أنه مريض. فجاء واحد منهم فقال: أراك ضعيفاً جداً وأظنك ستحم. فلو مضيت إلى منزلك واسترحت.

فقال لأحدهم: يا فلان يزعم فلان أني عليل.

فقال: صدق والله، وهل يخفي هذا على جميع الغلمان إن سألتهم أخبروك فسألهم، فشهدوا.

فقال لهم: انصرفوا اليوم وتعالوا غداً.

*****

● قال أحدهم: دخلت يوماً على كثيِّر في نفر من قريش، وكنا كثيراً ما نهزأ به لحمقه.

فقلنا له: كيف تجدك يا صخر! وكان مريضاً، فقال: بخير، هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟

قلت: نعم، سمعت الناس يتحدثون أنك الدجال.

قال: أما والله، إني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام.

*****

● كان إمام العبد منصرفاً إلى صلاته، وكان لون جلده أسود وقد خلع عباءته، فتغفله أحد المتظرفين، ورسم له على العباءة حماراً، فلما فرغ من صلاته، وهمّ أن يلبس العباءة رأى رأس الحمار، فصاح بالآخرين: من منكم، مسح وجهه بعباءتي.

وختاماً نقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك».

والحمد لله أولاً وآخراً.